الجزء الأول

إبراهيم بن عبد الله الحازمي
عفا الله عنه وسدد خطاه

اتهامات كاذبة

ⓒ دار الشريف للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحازمي، إبراهيم بن عبدالله.
اتهامات كاذبة. - الرياض.
١٨٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ×-٧٧-٧٤١-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٨١-٧٤١-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٨/٠٤٦٠

رقم الإيداع: ١٨/٠٤٦٠
ردمك: ×-٧٧-٧٤١-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٨١-٧٤١-٩٩٦٠ (ج ١)

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الشريف للنشر والتوزيع

ص. ب: ٥٨٢٨٧ الرياض: ١١٥٩٤
ت - فاكس: ٤٧٣١٤٦١

اتهامات كاذبة

الجزء الأول

إبراهيم بن عبد الله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فإن الله سبحانه قد أعطى الإنسان نعمة العقل ، حتى يميز بين الصحيح والسقيم ، والضار والنافع . . وحتى يتثبت ويتأكد مما ينقله ويسمعه . . لأننا في زمن كثر فيه الكذب . . ونشر الإشاعات والإتهامات الكاذبة . . ورمي العلماء والدعاة بما ليس فيهم . . وأصبح ذلك منهج عند بعض الجماعات الإسلامية الحزبية (!) هداهم الله وأصلح بالهم . .

وعليك أيها المسلم التثبت في الأمور والأخبار . . حتى لاتقع فيما لاتحمد عقباه . . وتندم حين لاينفع الندم وقديماً قيل : (وما آفة الأخبار إلا رواتها) .

والإنسان ليس معصوماً من الخطأ والغفلة والنسيان . . بل ولديه مآرب وغايات ورغبات وأهواء مختلفة . . وكل بني آدم خطّاء . . والكمال لله وحده .

أيها المسلم : إن الكتاب الذي بين يديك ـ إتهامات كاذبة ـ كتبته عندما رأيت الواقع العفن الذي نعيشه في هذا العصر . . وخروج جماعات إسلامية حزبية هدفها الأول والأخير النيل من الخصم . . وإسقاطه بحق أو باطل . . ورميه بما ليس فيه . . باستخدام الطرق الملتوية . . ولذلك رُمي

ولاة الأمر والعلماء والدعاة والصالحين بأشياء هم منها براء . .

فرأيت أن أكتب هذا الكتاب الذي أمامك وهو الجزء الأول وسوف يتلوه إن شاء الله الجزء الثاني . . أدافع فيه لله سبحانه عن أعراض أناس اتهموا زوراً وبهتاناً بما هم منه براء . . وإلى الله المشتكى . . فأقول وبالله التوفيق :

الناس لا أحد يسلم منهم . . فالله سبحانه وهو الخالق لهذا العالم . . قالوا عنه . . أن له صاحبة وولداً . . . وقالوا أن الله فقير . .

وكذلك أنبياء الله ورسله وصفوته من خلقه لم يسلموا من أذى الناس . .

فوصفوهم بالجنون تارة . . وبالسحر تارة أخرى وبأشياء أخرى تجدها في ثنايا هذا الكتاب . .

ولكن ينبغي للإنسان عدم تعطيل العقل . . لأن في تعطيله إهدار لكرامة الإنسان الذي فضله الله على سائر الحيوان ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ** ﴾ وأسوأ وصف يوصف به المرء أن يُدعى (إمّعة) يكون مع الناس حيث اتجهوا . . ويميل حيث تميل الرياح . .

بل يجب التأكد من صحة الخبر . . كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [سورة الحجرات] .

والحذر كل الحذر من إيذاء العلماء والصالحين والتشهير بهم فيما هم منه براء سواء كان ذلك عن طريق المجالس أو الصحافة أو الرسائل أو

المنابر . .

ولأن موضوع التشهير الذي هو : نشر وإذاعة الخبر السيء عن شخص . . . أو طائفة . . من المواضيع التي يستغلها بعض ضعاف النفوس ، أو ممن في قلوبهم مرض الحقد والحسد . . أو ممن فيهم عقدة النقص فيرغب أن يعلو على أكتاف الآخرين . . أو لغير ذلك من الأسباب . .**أرى كل يوم بالجرائد** مزلقاً ويقول الشاعر :

والظلـم من شـيم النفوس   فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

ولذلك سوف أتكلم عنه بشيء من الاختصار . .

فأقول : لاريب أن التشهير بالمرء المسلم الأصل فيه أنه حرام لأن فيه أذية وبهت للآخرين . . وهو من أكبر الكبائر .

قال صلى الله عليه وسلم :

« **أربى الربا عند الله استحلال عرض امريء مسلم** » ثم قرأ :

﴿**وَالَّذِيـــنَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ . . . رواه أحمد وأبو داود . .

وإذا كان في حق العلماء والصالحين فإن ذلك يكون أشد وأعظم . .

قال المؤرخ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله :

لحوم العلماء مسمومة ..

فإذا كان المشهر به بريئاً فإن ذلك يعتبر إفك وإثم وبهتان عظيم . .

أما إذا كان غير مجاهر بفسقه فالتشهير به محرم ؛ لأن من المعلوم شرعاً أنّ الستر على المسلم واجب . . قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

« **من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » .

وأما أصحاب الحدود فيجب على الحاكم إشهار إقامة الحدود عليهم كما قال تعالى في سورة النور :

﴿ **وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة النور] .

ولا شك أن من أسباب إيذاء الناس بما ليس فيهم وتلفيق التهم والمصائب لهم . . الهوى والجهل . . والتعصب والانتماء الطائفي وسوء الظن بالآخرين والحقد والحسد . . نسأل الله العافية والسلامة . .

رسالة إلى من يتهم الناس بما ليس فيهم :

أخي . . أذكرك بالله قيوم السموات والأرض . . أذكرك بالذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين . .

- أذكرك أن عاقبة الظلم وخيمة وشديدة . .
- أذكرك بما للإنسان الذي يتورع عن إيذاء الآخرين من الأجر والغنيمة . .
- أذكرك بأنك لا ترضى أنّ الناس يتهمونك بما ليس فيك والناس كذلك . .
- أذكرك بأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . . وسهام الليل

لا تخطئ .

- أذكرك بأنك تنام والمظلوم منتبه لاينام يدعو عليك . . ليلاً ونهاراً . . فكيف يهنأ لك عيش .
- أذكرك بأنك ستقف أمام الله . . . وسيسألك عما عملت وعمّا فعلت ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ .

أخي الحبيب ..

- لماذا لاتوجه سهامك لأعداء هذا الدين من الشيوعيين واليهود والنصارى . .
- لماذا تكون عوناً للشيطان على أخيك المسلم .
- لماذا تشغل نفسك بعيوب الآخرين . . وتتصيّدها وتنسى عيوب نفسك . . أو ما سمعت ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس** » رواه الطبراني بإسناد حسن .

- لماذا لاتشغل نفسك بحفظ القرآن . . ونشره وتعليمه . . والقيام بالدعوة الإسلامية .
- لماذا إذا رأيت من أخيك المسلم خطأ أو عيباً لاتنصحه . .
- لماذا تتهم الناس في نياتهم وتجرحهم بما هم منه براء . .
- لماذا تروّج الإشاعات والأكاذيب . . وتلفيق التهم . . ألم تعلم بأن الله يرى . .

- لماذا تكون سبباً في نشر القلاقل والمحن والفتن . . وخراب القلوب . .

ألا تعلم . . بأن الفتنة أشد من القتل . .

- لماذا لاتحسن الظن بإخوانك المسلمين من العلماء والدعاة والصالحين . . وقد قال بعض السلف :

لاتظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً . .

- ألا تعلم بأنك بعملك هذا تتعاون مع أعداء هذا الدين من العلمانيين والبعثيين والرافضة وعباد القبور والملاحدة . . الذين يتربصون بعباد الله الصالحين وليس من حق إخوتك عليك ذلك . .

- لماذا لاتشغل نفسك بالأمور النافعة . . لأن النفس إذا لم تشغلها شغلتك .

إنني أحذرك مغبة قذف الناس بما ليس فيهم . . وتذكر دوماً وأبداً قول الله تعالى :

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ .

والله يحفظنا جميعاً بحفظه . .

ويستر علينا بجميل عفوه . .

ويعاملنا بلطفه . .

إلى المشهر بهم وهم براء :

- عليك بالصبر واحتساب الأجر عند الله . .
- عليك بالتقوى والإحسان فإنها خير معين .
- استعن بالله . . ولا تعجز .
- فوّض أمورك إلى الله . . فإنه نعم المولى ونعم النصير . . .
- أبشرك بنصر الله . . وبرحمة الله . .
- تذكر أن العاقبة . . للمتقين . .
- تذكر أن الله معك . .
- تذكر أن عاقبة الصبر الجميل جميلة . .

والعرب تقول :

(من صبر ظفر) .

- تذكر أن انتظار الفرج عبادة . .
- تذكر أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه . .
- تذكر قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

- تذكر أنّ المحن فيها تمحيص من الذنب ، وتنبيه من الغفلة . . وتُعرض للثواب بالصبر . . وتذكير بالنعمة . .

أيها المسلم في كل مكان ..

دافع عن أعراض إخوانك المسلمين . . فإن من ذب عن عرض أخيه المسلم ذبّ الله عن وجهه النار يوم القيامة . .

انصح إخوتك برفق . . ودون تهجم أو تجريح ودون تعرض للأشخاص أو اتهام للنيات . . تثبت من الأقوال التي تنقل إليك ولا تتسرع في الحكم على الآخرين . .

لاتكن كالأسفنجة تقبل كل الماء . .

فابتعد عن الشبهات والشهوات . . ومهلكات النفس . . والله معك . .

إبراهيم بن عبدالله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه

طلائع الكتاب

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ .

[سورة الإسراء : ٣٦] .

وقال تعالى :

﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[سورة ص : ٢٦] .

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة الحجرات : ٦] .

وقال تعالى :

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق : ١٨] .

وقال تعالى :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩٢] .

وقال تعالى :

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور : ١٥] .

وقال تعالى :

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء : ١١٢] .

- قال صلى الله عليه وسلم : «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**» . (أخرجه مسلم في صحيحه) .
- «**وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**» (حديث صحيح) .
- «**من ردّ عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن) .
- «**من حدَّث عني بحديثٍ يرى أنه كَذِب فهو أحد الكاذبين**» (رواه مسلم) .
- «**رُبَّ كلمةٍ قالت لصاحبها : دعني !!**» (من أمثال العرب)
- قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ **ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره** .
- قال صلى الله عليه وسلم : «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» (رواه البخاري عن سهل بن سعد) .
- قال صلى الله عليه وسلم : «**من لعن مؤمناً فهو كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله**» (رواه البخاري) .
- قال صلى الله عليه وسلم : «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**» (رواه البخاري) .

قال الإمام العلامة ابن بطة رحمه الله: « عجبت من حالي في سفري وحضري، مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً دعاني إلى متابعته على مايقوله وتصديق قوله والشهادة له. فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ـ كما يفعل أهل هذا الزمان ـ سماني موافقاً، وإن وقفت من حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد سماني خارجياً، وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً، وإن كان في الإيمان سماني مرجئاً، وإن كان في الأعمال سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كَرَّامياً، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً، وإن سكَتُّ عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً، وإن

أجبت بغيرهما سماني باطنياً ، وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً ، وإن جحدتهما سماني شفعوياً، وإن كان في القنوت سماني حنفياً، وإن كان في القرآن سماني حنبلياً، وإن ذكرت رجحان ماذهب كل واحد إليه من الأخبار - إذ ليس في الحكم والحديث محاباة - قالوا: طعن في تزكيتهم . ثم أعجب من ذلك أنهم يسمعونني فيما يقرأون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي » .

ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره ، ولن يغنوا عني من الله شيئاً .

وإني مستمسك بالكتاب والسنة ، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم .

إن الرجل من أهل العلم إذا مَنَحَهُ اللَّهُ شيئاً مِنَ العلم وحُرِمَهُ قرناؤه وأشكالُه حسدوه ، فرمَوْه بما ليس فيه ، وبِئْسَتِ الخَصْلَةُ في أهل العلم .

الشافعي

[**وقال الإمام الشوكاني** ـ رحمه الله ـ في « البدر الطالع » (١/ ٥٦) في مَعْرِضِ دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : وهذه قاعدة مُطَّرِدةٌ في كُلِّ عالمٍ مُتَبَحِّر في المعارف العلمية ، ويَفُوق أهلَ عصرِه ، ويدينُ بالكتاب والسنة ، فإنه لابُدّ أن يستنكرَهُ المقصرون ، ويَقَع لهم معه مِحْنة بعدَ مِحْنَة ، ثم يكون أمرُه الأعلى ، وقولُه الأولى ، ويكون له بتلك الزلازل لسانُ صدق في الآخرين ، ويكونُ لعلمه حَظّ لايكونُ لغيره] .

إنّ الذي يتصدى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال، يلزمه التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه ، ولا يكتفي بالقول الشائع ، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح وإن كان في الواقعة أمر فادح سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً في حق المستور فينبغي أن لا يُبالغ في إنشائه ، ويكتفي بالإشارة ، لئلا يكون وقعت منه فلتة ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم . . فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع . .

(الحافظ ابن حجر)

من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض ، ثم يبني عليه السامع حُباً وبغضاً ، ومدحاً وذماً ، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة . .

وكم أشاع عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية ، أو لها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور ، وخصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل أو عرف منهم الهوى ، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع ، وبهذا يُعرف دين العبد ورزانته وعقله .

الشيخ عبدالرحمن السعدي

استمعوا لعلم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض ، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في ضرابها .

سعيد بن جبير

(ماتحلى طالب العلم بشيء أحسن من الإنصاف وترك التعصب)

ابن عبدالهادي رحمه الله

بسبب الحقد والحسد والغيرة يحصل بين الأقران والأضداد وضعاف النفوس ما لا يخطر على بال وكتب التراجم دالة على ذلك . . فنجد أحدهم يرمي صاحبه بالعيب . . أو النقص . . أو يفرح إذا نيل منه . . وكل ذلك من الهوى والنفس والشيطان . . نسأل الله العافية والسلامة .

إبراهيم الحازمي

الكلام في الرجال ونقدهم ، يستدعي أموراً في تعديلهم وردهم منها ، أن يكون المتكلم عارفاً بمراتب الرجال وأحوالهم في الانحراف والاعتدال ومراتبهم من الأقوال والأفعال ، وأن يكون من أهل الورع والتقوى مجانباً للعصبية والهوى خالياً من التساهل ، عارياً عن غرض النفس بالتحامل مع العدالة في نفسه والإتقان ، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها إنسان وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم ، وكان ممن اغتاب وفاء بمحرم .

الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي

الرد الوافر ص : ٣٧

إنه ليس من شريف ولا عالم ، ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه . .

سعيد بن المسيب

«ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين»

العلامة ابن قيم الجوزيةفي كتابه:

إعلام الموقعين (٣/٢٨٣)

«وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه . . »

شيخ الإسلام ابن تيمية في

منهاج السنة النبوية (٥/٢٥٥)

«اعلم - يا أخي - وفقنا الله وإيّاك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتّقيه حق تقاته ، أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة . . لأن الوقيعة فيهم - بما هم منه براء - أمر عظيم ، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرْتع وخيم . . والاختلاف على من اختاره الله منهم لنَعش العلم خلقٌ ذميم . . والارتكاب لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاغتياب جسيم . . ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

الإمام ابن عساكر في

تبيين كذب المفتري ص ٢٩ - ٣٠

• قال الزمخشري :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه؛ كتمانه لي أسلم
فإن حنفياً قلت ، قالوا بأنني أبيح الطِّلا وهو الشراب المحرّم
وإن مالكيًا قلت ، قالوا بأنني أبيح لهم أكْلَ الكلابِ وهمْ همُ
وإن شافعيًا قلت،قالوا بأنني أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليًا قلت ، قالوا بأنني ثقيل حلوليّ بغيض مجسّم
وإن قلت من أهل الحديث وحِزْبِه يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجَّبْتُ من هذا الزمان وأهله فما أحدٌ من ألسن الناس يسلم
وأخّرني دهري وقدم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلمُ !!

• قال الشاعر :

شر الورى مَنْ بعيب الناس مشتغل مثل الذباب يراعي موضع العلل

• قال الشاعر :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل حارب الناس إلا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الرعاع بنا ونالنا من تمادي جهلهم ضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها وليس يخسف إلا الشمس والقمر
وكم على الأرض من خضراء مورقة وليس يُرجم إلا ما له ثمر

• قال الشاعر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
وترى اللبيب محسداً لم يجترم ... شتم الرجال وعرضه مشتوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً إنّه لدميم

• قال الشاعر :

ولا أحدٌ من ألسن الناس سالماً ... ولو أنّه ذاك النبي المطهر
فإن كان مقداماً يقولون أهوجٌ ... وإن كان مفضالاً لقالوا مبذّر
وإن كان سكيناً يقولون أبكمُ ... وإن كان منطيقاً يقولون مهذّر
وإن كان صوّاماً وبالليل قائماً ... يقولون زوّار يرائي ويمكر
فلا تكترن بالناس في المدح والثنا ... ولا تخش غير الله ، والله أكبر

أكاذيب وأباطيل اليهود على الله

اليهود من شرار خلق الله . . هذه حقيقة لا جدال فيها . .

فهم يقولون . . « عزير » ابن الله ، وذلك أنه لما أحياه الله بعد مائة عام فتلا عليهم التوراة عن ظهر قلب وهم لايقرءونها عن ظهر قلب فقالوا : هذا ابن الله . .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ وما أمروا : أي في توراتهم .

وهكذا حرفوا التوراة . وعملوا بأهوائهم . . .

قال الله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [سورة النساء : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة : ٤١] .

وقد رد الله على الذين قالوا أن له إبناً كما أن للبشر أبناء . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . .

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة

التوبة : ٣٠ـ٣١] .

وقال الله تعالى :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [سورة البقرة : ١١٦] .

وقال الله تعالى :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٩١] .

ومفتريات اليهود على الله كثيرة . . وهي موجودة في توراتهم . . عليهم من الله ما يستحقون . .

فمنها :

ـ صوّرت التوراة المفتراة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جسد مجسّم كالمخلوقات يمشي أمام اليهود فيرونه نهاراً ، ويرونه ليلاً !!! (جاء في سفر الخروج ١٣ ـ ٢٠) :

وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب . . ليهديهم في الطريق ، ويسير ليلاً في عمود نار ليضيء لهم . .

بل ذكرت التوراة (سفر التكوين) أن الإله يأكل مما يأكل الناس ، ويشرب مما يشربون ويغتسل بالماء كما يغتسلون . . . فأي عاقل من المسلمين أو من غيرهم يرضى بهذه الترهات والسخافات . .

وأين هذا الكلام من تنزيه الخالق عن هذا كله كما يذكر القرآن وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . قال الله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى : ١١] وقوله سبحانه : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [سورة الأنعام : ١٠٣] .

وقال تعالى :

﴿ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾
[سورة الأنعام : ١٤] .

فهو سبحانه له صفات الكمال والجلال ، وهو منزّه عن صفات النقص . . ومن شبهه بخلقه فهو أضل من حمار أهله . . وهو من أشد الناس كفراً والعياذ بالله . .

ومن إتهامات اليهود للرب سبحانه قولهم بأنه فقير . قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وهناك افتراءات وضعها اليهود على الله غير ماذكرنا منها : أنهم يزعمون أن الله يخطيء كما يخطيء البشر ، ويندم على خطئه كما يندمون . .

جاء في التوراة (ندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه ! !

(سفر الخروج ٣٢) .

بل إنهم لم يستحوا في افترائهم على الله أن ينسبوا إليه الجور . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . انظر سفر أرميا (١٩) وسفر صمويل الثاني (٧ـ ٣٦).

بل يزعم اليهود بأنهم شعب الله المختار ، وأن الله يؤثرهم بالمحبة ، ويفضلهم على من سواهم . .

وقد رد الله عليهم في القرآن الكريم حيث قال :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة : ١٨] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة : ٦ ، ٧] .

بل هناك أشياء وأشياء وإتهامات وأكاذيب وضعها اليهود على الله سبحانه . . في توراتهم المفتراة . . . بسبب نفوسهم الشريرة ونزعاتهم المادية ، وأحقادهم على البشرية . . والله سبحانه بريء منهم ومن أوهامهم وافترائهم . . والله من ورائهم محيط . .

مفتريات اليهود على أنبياء الله

اليهود قوم بهت هكذا وصفهم من هو أعلم بحالهم أنه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام . وهناك كتاب لأبي الفضل المالكي المسعودي . اسماه : (ما افتراه اليهود الأشرار على أنبياء الله الأبرار كالمسيح وصفوته الأطهار) . ذكر الكثير من مفترياتهم وأكاذيبهم على أنبياء الله الأبرار .

وكذلك العلامة أبو محمد بن حزم الظاهري ذكر الكثير من ذلك ورد عليهم رداً قوياً مفصلاً في كتابه : (الفصل في الملل والنحل . .) .

وسوف أنقل من هذين الكتابين شيئاً يسيراً ونرد عليهم . .

فمن ذلك . .

- زعمهم أن الذبيح هو لإسحاق دون إسماعيل وذلك كذب وهراء . . وقد بينته في مقدمة تحقيقي لكتاب السيوطي (القول الفصيح في تعيين الذبيح) والذبيح هو إسماعيل كما ورد في القرآن الكريم في سورة الصافات بل ورد في التوراة اذبح بكرك وحيدك إسماعيل . .

- ومنها زعمهم أن « نوحاً » نام فانكشفت عورته فضحك ابنه « حام » فدعا عليه وعلى عقبه (نسله) فكان اللون الزنجي ! ! !

والحقيقة أن ذلك من كلام العوام وليس له مستند صحيح لا في كتاب

ولا في سنة صحيحة ، بل ورد في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ .

● ومنها يزعمون أن ابنتي «لوط» أسكرتا أباهما وضاجعتاه فوطئهما فولدتا ولدين . . وذلك كذب وبهت . . عليهم من الله ما يستحقون . .

أبعد الله السوء عن نبيه وحماه من كيد اليهود . . وقومه في ذلك اليوم العصيب فكيف يهتك ستره اليوم . . هذا كذب ومحال وأنبياء الله منزهون عن ذلك .

● ومنها أنهم يزعمون أن « روبيل» بكر «يعقوب» زنى بسرية أبيه يعقوب (إسرائيل) وافترشها فعند وفاته منعه من السهم الذي كان يعطي البكر . . وأن إبراهيم عليه السلام ورث ابنه « إسحاق» ومنع « إسماعيل» من إرثه وهذا كذب وإفتراء على أنبياء الله لأنهم بعيدون عن هذه الرذائل .

● ومنها أنهم زعموا أن « يهوذا بن يعقوب» زنى بامرأة ابنه «تامار» ورهنها خاتمه وعصاه .

وأنها حملت منه فصار بذلك شهرة هذا مع حظوته عند أبيه ودعائه له بتخليد الملك والنبوة في عقبه فأي فخر في ذلك وأي فضل حتى يودعوه التوراة ويعظموه تعظيم الوحي والتنزيل جيلاً بعد جيل . . هذا كذب وافتراء على «يهوذا» .

وصدق الله العظيم إذ يقول عنهم . .

﴿ **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ .

وغير هؤلاء كثير من الرسل تقولوا عليهم الأقاويل وافتروا عليهم

بالزور والبهتان . .

فيوسف عليه السلام يتهم بالسرقة وبأبشع التهم ويلقي به في السجن . .

وعيسى عليه السلام قالوا عليه وعلى أمه الإفك والبهتان ، وموسى عليه السلام اتهموه بالسحر والشعوذة . . وسليمان عليه السلام قالوا عنه : أنه غرر بقائد جيشه ليظفر بزوجته !! .

وبالجملة فإن فضائحهم كثيرة ، وأقوالهم هائلة شهيرة . . ولهم في الكفر مذاهب وأحوال ومشارب . .

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير . . من مفتريات اليهود وفضائحهم على أنبياء الله ورسوله . .

نسأل الله العافية والسلامة ...

خبر اتهام عثمان بن عفان بأنه أُرْتج عليه وهو على المنبر

هذا الخبر مشهور ومستفيض بين الناس وعنّون له بعض الأدباء في كتبهم فقالوا :

(من خطب فارتج [١] عليه) .

والقصة على النحو التالي :

قال ابن سعد في طبقاته : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه قال :

أنّ عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس إن أول مركب صعب . وإن بعد اليوم أياماً . . وإن أعِش تأتكم الخطبة على وجهها . . وما كنا خطباء . . وسيعلمنا الله .

وهذا إسناد ضعيف جداً ؛ لأن فيه محمد بن عمر وهو الواقدي متروك مع سعة علمه . . وورد مسنداً أيضاً عن ابن شبة في تاريخ المدينة من طريق أحمد بن شبويه عن سليمان بن صالح عن عبدالله بن المبارك عن جرير بن حازم قال :

---

(١) أرْتج : بضم الهمزة وسكون الراء وكسر التاء . . ومعناه : إذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه ، أو إذا أراد قولاً فلم يصل إلى إتمامه . . .

لما بُويع عثمان قام فحُصِر وقال :

أمّا بعد ، فما من كلام ، وسيكون إن شاء الله .

وهذا إسناد ضعيف فيه أحمد بن شبويه وهو مجهول .

ووردت مسندة أيضاً عند ابن عساكر في تاريخه . .

وذكرت بصيغة أخرى وهي :

أنّه لما خطب ـ يعني عثمان رضي الله عنه ـ في أوّل جُمعة ولي الخلافة وصعد المنبر فقال :

(الحمد لله) فأُرْتج عليه فقال : « إن أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كانا يُعدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال . . وستأتيكم الخطب من بعد . . واستغفر الله لي ولكم ونزل وصلى بهم » .

رواها العيني في « البناية » .

والكاساني في « بدائع الصنائع » والمرغيناني في الهداية ، وابن الوشاء في (الفاضل في صفة الأدب الكامل) والماوردي في (الحاوي الكبير) وابن عبد البر في بهجة المجالس وغيرهم . .

وهذه الرواية أيضاً ليس لها إسناد . . والإسناد من الدين . .

ولذلك فقد ضعف قصة عثمان جماعة من أهل العلم والإيمان منهم :

١ ـ الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال [١] : وما يذكره بعض

---

(١) في البداية والنهاية .

الناس من أن عثمان لما خطب أول جمعة أرتج عليه . . فلم يدر ما يقول . . . فهو شيء يذكره صاحب (العقد) وغيره ممن يذكر طرف الفوائد ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه .

٢ ـ الحافظ الزيلعي في كتابه الرائع « نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية » حيث قال : غريب يعني ضعيف . .

٣ ـ ابن الهُمام في « شرح فتح القدير » حيث قال قصة عثمان لم تعرف في كتب الحديث بل في كُتُب الفقه . .

وأيضاً فإن في هذه القصة نكارة . . وذلك أنّه قد روى عند ابن جرير في تاريخه أنّ عثمان بن عفان لما بويع قال خطبة مفصّلة . . وفي إسنادها ضعف .

وهذا يناقض ما ورد في هذه القصة من أنّه ـ رضي الله عنه ـ أرْتج عليه(١) .

---

(١) انظر ما كتبه الأخ الفاضل : مشهور بن حسن في كتابه : « قصص لاتثبت» (٢/ رقم١٣).

براءة حسان بن ثابت من اتهامه بالجبن

حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ جاء في الخبر عنه أنه كان جبانًا.

وسوف أسوق الخبر ثم أبين عدم صحته.

فأقول: ورد وصف حسان بن ثابت بالجبن في أكثر من رواية:

١ ـ الرواية الأولى عن أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام عن أبيها عن جدها قال: «لما خلف رسول الله ﷺ نساءه يوم أحد، خلفهن في فارع، وفيهن صفية بنت عبد المطلب، وخلف فيهن حسان بن ثابت فأقبل رجل من المشركين ليدخل عليهن، فقالت صفية لحسان: عليك الرجل، فجبن، أو أبى عليها، فتناولت السيف، فضربت به المشرك حتى قتلته، فأخبر الرسول ﷺ بذلك فضرب لها بسهم» ذكر هذا الخبر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢) وابن عساكر في تاريخه.

وهذه الرواية مسلسلة بالضعفاء والمجاهيل، فأم عروة بنت جعفر لا تعرف فهي مجهولة، ووالد أم عروة لا يعرف وجد أم عروة لا يعرف .. فهذه الرواية ضعيفة جدًا لا يحتج بها.

وهناك طرق أخرى للحديث فقد روى من حديث يونس بن بكير عن هشام عن أبيه عن صفية قالت: قُمْ فاسلبه فإني امرأة وهو رجل: فقال: مالي بسلبه يا بنت عبد المطلب من حاجة» ذكره الذهبي في السير (٢/ ٥١٢).

وهو حديث ضعيف ففيه هشام وأبوه مجهولان !!

وورد من طريق الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن علي بن صالح عن عبد الله بن مصعب .

وفيه : جاء يهودي يرتقي إلى الحصن ، فقالت صفية له أعطني السيف فأعطاها فلما ارتقى اليهودي ضربته حتى قتلته .

ذكرها الأصفهاني في الأغاني ، والأصفهاني ضعيف والحسن بن علي كذلك وعلي بن صالح مجهول . فالحديث ضعيف جداً .

فتبيّن لك يا أخي المسلم بطلان هذه القصة سندًا ومتناً : فإن الحديث مضطرب كما ترى وكل رواية تختلف عن الأخرى ، وهذا ممايدل على بطلانها .

وكذلك لو صح لهُجى به حسان بن ثابت ، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعري وغيرهما .

وكانوا يناقضونه ويردون عليه فما عيَّره أحد منهم بجبن ولا وسمة به . . فدل هذا على ضعف الحديث ولا تغتر بمن يرمي الصحابي الجليل حسان بن ثابت بالجبن : مثل الواقدي .

وابن الكلبي وابن قتيبة والإبشيهي . . فإنما ينقل بعضهم عن بعض دون تمحيص ولا تثبت .

والواقدي الذي هو عمدتهم قال عنه الحافظ ابن حجر : كذاب مع سعة علمه ! ! والكلبي كذلك .

وما ظهرت إتهام حسان بن ثابت إلا بعد حدود عام (١٠هـ) وممن ضعف هذا الخبر من العلماء .

١ ـ ابن عبد البر النمري الأندلسي رحمه الله في كتابه (الدرر في المغازي والسير) مطبوع .

٢ ـ عبد الرحمن السهيلي في كتابه : (الروض الأنف) .

٣ ـ أبو ذر الخشني في كتابه : (غريب السيرة) .

٤ ـ العلامة ابن الشراج .

٥ ـ الدكتور أحمد لواساني في كتابه : (نظرات جديرة في تاريخ الأدب) .

٦ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حيث قال : إن ما يقال في حسان ووصفه بالجبن كذب لايصح ولا يجوز أن يقال عنه ذلك .

فهو أحد الصحابة المشهورين ، وأشعاره تدل على شجاعته وأما قصته مع صفية فلاأعلم لها أصلاً[١] .

---

(١) لمزيد من الفائدة حول هذا الموضوع ، انظر : مجلة المنهل عدد ربيع الثاني ١٣٨٤هـ ، مجلة المجتمع الكويتية في ذو القعدة ، ١٣٩٢هـ .
كتاب نقض افتراءات المؤرخين والنقاد حول شخصية حسان بن ثابت للأستاذ أحمد بن مسفر العتيبي ، وكتاب : (حسان بن ثابت لم يكن جبانًا) لسليمان الخراشي .

براءة الصحابي ثعلبة بن حاطب من النفاق

الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب أحد الصحابة الفضلاء البدريين. . ومع ذلك فإنه بسبب الأحاديث الضعيفة والموضوعة ألصقت فيه تهمة كبيرة وهو منها براء. . ألا وهي النفاق.

واستغلها القصاص والوعاظ . . فذكروها أمام العامة تحت مسمى «حمامة المسجد».

وقد ذكرها المفسرون في كتب التفسير في تفسير سورة التوبة . . عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

وسوف أسوق لك أخي القارئ وفقنا الله وإياك القصة. . ثم أبين ضعفها وعدم صحتها سندًا ومتنًا [١].

عن أبي أمامة الباهلي قال: «جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، ثم أتاه بعد

---

(١) انظر حول ذلك: الصحيح المسند من أسباب النزول للأخ مقبل الوادعي وكتاب عذاب الحمش واسمه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه. . وكتاب. . الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلبة بن حاطب للأخ سليم الهلالي.

ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «أمالك فيّ أسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبًا وفضة لسارت»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً، اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود، فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت، فتقاعد أيضًا حتى صار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمت فتقاعد أيضًا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة، وكان إذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ما فعل ثعلبة؟» فقالوا: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً لا يسعها واد، فقال رسول الله ﷺ: يا ويح ثلعبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة» وأنزل الله آية الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما: «مرَّا بثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سُلَيْم، فخذا صدقاتهما»، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي، فانطلقا وسمع بهما السُّلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياها قالا: ما هذا عليك، قال: خُذاه فإن نفسي بذلك طيبة، فَمَرَّا على الناس وأخذا الصدقة، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي، فأقبلا فلما رآهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه قال: «يا ويح ثعلبة»، ثم دعا للسُّلمي بخير، وأخبراه بالذي

صنع ثعلبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾ إلى قوله ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة : ٧٥ ـ ٧٧] وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة ! قد أنزل الله عز وجل فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ ، فسأل أن يقبل صدقته فقال : «إن الله تبارك وتعالى منعني أن أقبل منك صدقتك» فجعل يحثي التراب على رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : «هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني !» فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع إلى منزله ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يقْبضْ منه شيئاً .

ثم أتى أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فأقبل صدقتي ، فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله منك ، أنا أقبلها ؟ فَقُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها .

فلما ولي عمر أتاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ، أنا أقبلها ؟ فَقُبِضَ ولم يقبلها .

ثم ولي عثمان رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر أنا أقبلها ؟ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه .

أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٣٠) وابن الأثير في «أُسد الغابة» (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) وابن عبد البر في «الاستيعاب» وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٢٠٨) والطبراني في «المعجم الكبير» والبيهقي في «الدلائل» وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى البغوي والباوردي وابن قانع وابن السكن

وابن شاهين وعزاه الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٣٨٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال وأبي نعيم وابن مردويه كلهم من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي.

وهذا إسناد ضعيف جداً علي بن يزيد هو أبو عبد الملك الألهاني، ضعيف جدًا وقال الدارقطني والنسائي والبرقي والأزدي: متروك فهو من الرواة الذين أجمع علماء الجرح والتعديل على ضعف حديثهم..

وورد للقصة طريق آخر من حديث ابن عباس عند ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٣٠) ولكنه مسلسل بالضعفاء والمجاهيل.

وورد أيضاً من حديث الحسن البصري عند ابن جرير أيضاً في تفسيره (١٠/ ١٣٢) وفيه عمرو بن عبيد البصري وهو متروك.

فتبين لك أخي المسلم أن هذه القصة باطلة سنداً فرواتها بين متروك وضعيف جداً.

أما سقوطها متناً فإليك بيان ذلك:

١ ـ مخالفة القصة للقرآن، فمن أصول الشريعة التي قررها الله في كتابه وعلى لسان رسوله أن التائب تقبل توبته حتى لو بلغت ذنوبه عنان الأرض والسماء وأن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن.

وأن الله يقبل توبة عبده المسلم ما لم يغرغر و مالم تبلغ الروح الحلقوم

والقصة تؤكد أن ثعلبة تاب توبة نصوحاً فجاء يعرض صدقته على الرسول ﷺ وأكد توبته مراراً فجاء أبا بكر وعمر وعثمان لكنهم رفضوا قبول

توبته . . وذلك خلاف النصوص الواردة في قبول الله سبحانه للتوبة والتائبين .

٢ ـ مخالفتها للأحاديث الصحيحة الثابتة الواردة في مانع زكاة الإبل والماشية . . وأنها تؤخذ قهراً وأخذ شطر ماله ، قال ﷺ في حديث بهز بن حكيم(١) وفيه : ومن منعها فإنا آخذوها منه وشطر إبله .

بينما القصة تؤكد أن ثعلبة منع زكاة إبله وماشيته ووصفها بأنها جزية . . ولم يحرك الرسول ﷺ ساكناً وتهاون في إمضاء حكم الله على مانع الزكاة .

وكذلك الخلفاء الثلاثة تهاونوا وتقاعسوا عن ذلك . . وهذا دليل على فساد القصة من أصلها كيف لا . . وقد جرد الصحابة سيوفهم على مانعي الزكاة .

٣ ـ عدم مطابقة الآيات للقصة .

فالآيات تتكلم على المنافقين ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ** ﴾ [التحريم : ٩] .

والقصة تؤكد أن ثعلبة كان محافظاً على الصلوات الخمس حتى سُمّي (حمامة المسجد)

٤ ـ الآيات تدل دلالة واضحة أن الله طبع على قلب هذا المنافق وحُرِم التوبة .

والقصة تفيد أن ثعلبة عندما علم ما أنزل الله رجع وتاب وهذا دليل على الإيمان .

---

(١) الحديث رواه أبو داود والنسائي وأحمد (٥/ ٢) وصححه ابن خزيمة (٤/ ١٨) والحاكم (١/ ٣٩٨) .

٥ ـ تناقض القصة : فهي تنص على أن الرسول بعد ما تقاعد ثعلبة عن الجمعة والجماعة سأل سؤال الذي يجهل حال ثعلبة : ما فعل ثعلبة ؟

فأخبره الصحابة ، ثم تخبر أنه صلى الله عليه وسلم أخبر الرجلين اللذين أرسلهما لجمع الصدقات بما فعل ثعلبة قبل أن يخبراه .

٦ ـ ثعلبة بن حاطب من المؤمنين الذين شهدوا معركة بدر كما نص على ذلك ابن حجر وابن عبد البر وغيرهم ممن ترجم لهذا الصحابي . . فهل يعقل أنّ هؤلاء الذين قال عنهم النبي ﷺ : «إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدراً والحديبية» رواه مسلم .

هل يعقل أن من كان بهذه المنزلة يعقبه الله نفاقاً إلى يوم يلقاه . .

ومن صرح ببطلان هذه القصة من العلماء ما يلي :

١ ـ العلامة أبو محمد بن حزم الظاهري رحمه الله حيث قال في المحلى (١١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

وهذا باطل لأن ثعلبة بدري معروف .

٢ ـ البيهقي .

٣ ـ ابن الأثير : وقال : هذه القصة غير صحيحة

٤ ـ والقرطبي .

٥ ـ الذهبي . ٦ ـ الحافظ العراقي .

٧ ـ والحافظ ابن حجر وقال : لكنه حديث ضعيف لا يحتج به

٨ ـ والشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٠٨١)

حيث قال : وهذا إسناد ضعيف جداً

٩ ـ الشيخ مقبل الوادعي اليمني وبين ضعفه .

اتهام الخطيب البغدادي بشرب الخمر واللواط

بعض ضعاف النفوس وأصحاب الأهواء تجدهم يرمون العلماء والدعاة بالقذف المحرم.

ومن هؤلاء المدعو زاهد الكوثري فقد قذف الحافظ أبا بكر الخطيب باللواطة ، ورماه بشرب الخمر فقال في تأنيبه ص : (١٢).

قال محمد بن طاهر المقدسي: لما هرب الخطيب من بغداد عند دخول البساسيري إليها قدم دمشق فصحبه حَدَث صبيح الوجه فكان يختلف إليه، فتكلم الناس فيه وأكثروا حتى بلغ والي المدينة وكان من قبل المصريين شيعيًا، فأمر صاحب الشرطة بالقبض على الخطيب وقتله وكان صاحب الشرطة سُنيًا فهجم عليه فرأى الصبي عنده وهما في خلوة، فقال للخطيب قد أمر الوالي بقتلك، وقد رحمتك ، وما لي فيك حيلة، إلا أنني إذا خرجت بك أمرُّ على دار الشريف ابن أبي الحسن العلوي فأدخل داره ، فإني لا أقدر على الدخول خلفك وخرج فمر على دار الشريف ، فوثب الخطيب فصار في الدهليز وعلم الوالي، فأرسل إلى الشريف يطلبه منه، فقال الشريف: قد علمت اعتقادي فيه وفي أمثاله، وليس هو من أهل مذهبي ، وقد استجار بي ، وما في قتله مصلحة.

فإن له بالعراق صيتًا ، وذكرًا ، فإن قتلته قتلوا من أصحابنا عدة ، وأخربوا مشاهدنا قال: فليخرج من البلد ، فأخرجوه ، فمضى إلى صور.

واشتد غرامه بذلك الصبي فقال فيه الأشعار فمن شعره :

بات الحبيب وكم له من ليلة فيها أقام إلى الصباح مُعانقي

ثم الصباح أتى ففرّق بيننا   ولقلّما يصفو السرور لعاشق

انتهى ما نقله زاهد الكوثري عن سبط ابن الجوزي .

والجواب : أن هذه فرية عظيمة وبهت كبير على الخطيب البغدادي سوف يسأل عنه أمام الله سبحانه .

فما هذه الحكاية إلا أكذوبة يعرفها كل عاقل .

والذي حمل زاهد الكوثري على ذكر هذه الفرية تعصبه المذهبي لأبي حنيفة حتى أطلق عليه «مجنون أبي حنيفة» .

والخطيب البغدادي ترجم لأبي حنيفة في تاريخ بغداد ترجمة موسعة لعلها لم تعجب الأستاذ زاهد الكوثري فقام بإلصاق هذه التهمة فيه حتى يسقط منزلته فلا يقبل له قول . . ولا يعتمد له نقل .

وحتى لا أطيل عليك أخي القارئ فأقول هذه الحكاية مكذوبة من عدة أوجه :

١ ـ إن الذي نقلها من أشد خصوم الخطيب البغدادي واكثرهم تعصباً عليه وهو سبط ابن الجوزي أبو المظفر يوسف بن فرغلي المتوفي سنة (٦٥٤هـ) في كتابه : (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) .

٢ ـ إن إسناد القصة ملئ بالمجاهيل والكذابين .

٣ ـ إن متن القصة مخالف لما عرف عن الخطيب البغدادي من صلاح وفلاح وتقوى وخوف من الله سبحانه .

٤ ـ هل سُمع في تاريخ عصر من عصور الإسلام أنهم كانوا يقتلون بصحبة الأحداث والمردان .

٥ ـ هل تقام الحدود دون بيّنة شرعية .

٦ ـ هل يعقل أن الخطيب البغدادي الذي يحدث بحديث رسول الله ﷺ صباحًا ومساءً وأفنى حياته في الذب عن السنة النبوية كتابة وإملاء . . وتحديثًا وهو من الأبرار الأتقياء . . أن يقال عنه كلام مثل هذا بمجرد أنه سار مع غلام صبيح الوجه . . ألا تعسًا وسحقًا وبعدًا للهوى والحقد والحسد .

٧ ـ هل كان للدولة الفاطمية وهم في الحقيقة (باطنية) حرص على تطبيق الشريعة وإقامة الحدود بهذا الشكل الأعوج !

ولا أدرى كيف سمح الأستاذ زاهد الكوثري لنفسه بإشاعة الفاحشة على الخطيب البغدادي بعد ألف سنة مضت .

ولكن لا عجب (!) فقد نال من صحابة رسول الله ﷺ فما بالك بغيرهم من الأئمة الأعلام فإلى الله المشتكى .

فيا محنة الإسلام من كل عالم ويا محنة الإسلام من كل جاهل

وأما رميه بشرب الخمر فهو بريئ منها براءة الذئب من يوسف ولكنه الهوى والتعصب المذهبي وقد اتهم الخطيب البغدادي بشرب الخمر زاهد الكوثري كما في تأنيبه ص : (١١) .

وإليك هذه الحكاية المكذوبة من كتاب معجم الأدباء (٤/ ٢٩) قال ياقوت :

ونقلتُ من خط أبي سعد السمعاني ومنتخبه لمعجم شيوخ عبد العزيز ابن محمد التحشبي قال : ومنهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، يخطب في بعض قرى بغداد وهو حافظ فهم ولكنه كان يتهم بشرب

الخمر (!!) .

كنتُ كلما لقيته بدأني بالسلام ، فلقيتُهُ في بعض الأيام فلم يُسلم عليّ ، ولقيتهُ شبْه المتُغيّر ، فلما جاز عنّي لحقني بعضُ أصحابنا ، وقال لي : لقيتُ أبا بكر الخطيب سكران ، فقلتُ له : قد لقيتُه متغيراً ، واستنكرتُ حالهُ ، ولم أعلم أنّه سكران ، ولعلهُ قد تاب إن شاء الله (!!!) أ . هـ .

والجواب : لا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى ، واليوم الآخر أن يثْلم عرض أحد من العلماء والأدباء بدون تثبت . .

فما بالك إذا كان الكلام في أحد العلماء الثقات الأثبات الذين جاوزوا القنطرة .

فإلى الله المشتكى ...

— تهمة أخرى أتهم بها رحمه الله وهي انتحال كتب شيخه محمد بن علي الصوري
قال ابن الطيوري : أكثر كتب الخطيب سوى تاريخ بغداد مستفاد من كتب
الصوري كان الصوري ابتدأ بها وكانت له أخت بصور فمات الصوري
وخلف عندها اثني عشر عدلاً محزومة من الكتب فلما خرج الخطيب إلى الشام
حصل من كتبه ما صنف منها كتبه . وقد رد هذه التهمة الحافظ الذهبي
في السير فقال : ما الخطيب مفتقر إلى الصوري هو أحفظ وأوسع
رحلة وحديثاً ومعرفة . اهـ . وقال العمري (٥٦ موارد) ما ذكره ابن الطيوري
فرية لا تصح لأن معظم مصنفات الخطيب ألفها قبل خروجه إلى الشام

اتهام الإمام الزهري بمداهنته وتأثره بخلفاء بني أمية

يُعد الإمام الزهري رحمه الله أوّل من دوّن السنة النبوية . . ولولاه لضاعت السنة النبوية وهو أحد حفاظ الدنيا وأوعية العلم .

قال مالك : ما رأيت أحدًا فقيهًا إلا واحدًا . . . قال : ابن شهاب الزهري :

وأثنى عليه كل من ترجم له . . ولكن اتهموه بمخالطة سلاطين بني أمية وأنه يضع لهم الأحاديث ! ! .

قال التابعي الجليل مكحول الدمشقي بعد أن أثنى عليه :

أيّ رجل هو لولا صحبته للملوك (١) .

وقال عمر بن رديح : كنت مع ابن شهاب الزهري نمشي فرآني عمرو ابن عبيد ، فلقيني بعد فقال : مالك ، ولمنديل الأمراء ؟ يعني ابن شهاب (٢) .

وممن إنتقد الزهري حديثًا المستشرق (جولد تسيهر) وأشياعه من المستشرقين وفروخ الاستعمار فذكروا أن الزهري ارتضى الإنضمام لحاشية أمراء بني أمية ، وخاصة صديقه عبد الملك بن مروان .

كما تولى منصب القضاء لبعضهم وبذلك أثروا عليه (! !) فغض الطرف عن مفاسدهم ، واستغلوه في وضع بعض الأحاديث على الرسول

---

(١) انظر المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٦٤٢) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٩) .

(٢) انظر الحلية (٣/ ٢٤٦) وتاريخ ابن عساكر وتهذيب التهذيب (٤/ ١٤٣) .

ﷺ (!!) ولم يرو لعلي بن أبي طالب فضيلة قط .

والجواب عن هذه الشبهات : أنه قد ورد عن الأوزاعي ماداهن ابن شهاب ملكًا من الملوك قط .

فهذه الشهادة من الإمام ترد على أولئك القلة الذين يتهمونه بصحبته لأمراء وخلفاء الأمويين . . فإنه مع مخالطته للحكام كان بعيدًا عن المداهنة والملاينة ويدل على ذلك مواقفه المشهودة فمن ذلك موقفه مع الوليد بن عبد الملك حين قال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات، ولم يكتب له السيئات، قال الزهري : باطل يا أمير المؤمنين . . . ثم بين له وجه بطلانه، بمعارضته لقوله تعالى لداود عليه السلام : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص : ٢٦]، قال الزهري : فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال الوليد : إن الناس ليغووننا عن ديننا(١) .

أما هشام بن عبد الملك ؛ فمن مواقف الزهري معه، أن هشامًا قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآية . إلى قوله : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١١] .

ثم قال لسليمان بن يسار : من الذي تولى كبره منهم؟ فقال له : عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقال له : كذبت، هو علي بن أبي طالب، قال سليمان : أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل ابن شهاب ، فقال (هشام) :

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٦٠) .

يا ابن شهاب، من الذي تولى كبَره منهم؟ فقال له: عبد الله بن أبيّ (بن سلول المنافق)، فقال له: كذبتَ، هو علي بن أبي طالب، فقال له: أنا أكذب؟ لا أبا لك، فوالله لو نادى مناد من السماء؛ إن الله أحل الكذب ما كذبت؛ حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله وعلقمة بن وقاص؛ كلهم عن عائشة: أن الذي تولى كبره منهم: عبد الله بن أبيّ، فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل، فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك، فقال له ابن شهاب: ولم ذاك؟ أنا ما اغتصبتك على نفسي أو أنت اغتصبتني على نفسي، فخل عني، فقال له: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف، فقال: قد علمت، وأبوك قبلك، أني ما استدنت هذا المال عليك، ولا على أبيك، فقال هشام: إنا إن نُهيِّج الشيخ، يهم الشيخ، فأمر فقضى عنه من دينه ألف ألف، فأخبر بذلك، فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده[1].

قال الحافظ ابن حجر: وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة، تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة ـ يعني كون الذي تولى كبره هو علي ـ رضي الله عنه ـ فحرّفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي، فظنوا صحتها، حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيرًا/ [2].

وساق ابن حجر رواية ابن مردويه: أن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور ـ مستلقيا ـ فلما بلغ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾.

---

(١) انظر البخاري (حديث الإفك) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٢) فتح الباري.

حتى بلغ :

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُم﴾ .

جلس ، ثم قال : يا أبا بكرة من تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟ قال : فقلت في نفسي ، ماذا أقول؟ لئن قلت : لا ، لقد خشيت أن ألقى منه شرا ، ولئن قلت : نعمُ ، لقد جئت بأمر عظيم ، قلت في نفسي ، لقد عودني الله على الصدق خيرًا ، قلت : لا ، قال فضرب بقضيبه على السرير ثم قال : فمن فمن ؟ ، حتى ردد ذلك مرارا ، قلت : لكن عبد الله بن أبيّ .

ويفهم من كلام ابن حجر أن هذا الموقف تعدد من الزهري ، مرة مع الوليد ومرة مع هشام وعليه يتضح امتداد صمود الزهري وثباته على الحق مهما توالى الأمراء على خلافه .

وعندما جعل هشام وَلَدَه أبا شاكر أميراً على الحج ، وأمر الزهري بصحبته في ذلك ، ذهب معه ، وصار يُوجِّهه خلال الرحلة إلى أعمال الخير العامة ، حيث أشار عليه بأن يَصْنع إلى أهل المدينة خيراً ، وحضّه على ذلك ، فاستجاب أبو شاكر وأقام بالمدينة المنورة نصف شهر ، وقسم الخُمس على أهل الديوان ، وفعل أموراً حَسَنَة[1] .

وكان الزهري في أول أمْره عندما يُحدّث لايترك أحداً يكتب بين يديه ما يُحدِّث به ، تفضيلاً منه لحفظ الصدر ، فلما طلب منه هشام أن يكتب بنفسه بعض مروياته لأبناء هشام ، امتنع ، وطلب إليه أن يُرسل كاتباً من

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المحقق ص : ١٦٤) .

عنده ، يَحضُر مجلسَ تحديث الزهري لعامة طلابه فيكتب لهم مايُحدِّث به ، فأرسل هشام كاتباً ، وقيل كاتبين ، ومكثا سنةً يكتبان عنه [١] .

ولما طلب هشام أيضاً منه إملاء الحديث على أولاده ، أملى عليهم أربعمائة حديث ، وكتبها لهم عنه كاتب ، فلما خرج الزهري من عند هشام دخل المسجد ، فاستند إلى عمود من عُمُده ثم نادى : يا طلبة الحديث ، فلما اجتمعوا إليه قال : إني كنت منعتكم أمراً بذلْتُه لأمير المؤمنين آنفاً ، هَلُمُّ فاكتبوا ، قال : فكتب عنه الناس من يومئذ تاريخ ابن عساكر (ترجمة الزهري) .

وجاء عنه في ذلك أيضاً أنه قال : كنا نكْره الكتاب ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأيت أن لا أمنعه مُسْلماً[٢] .

وفي رواية قال : كنا لا نرى الكتاب شيئاً ، فأكرَهَتْنا عليه الأمراء ، فأحببنا أن نواسي بين الناس فأين هذا من تحريف «جولد تسيهر» بأن عبارة الزهري : «إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث» ؟ ، وهل مثل هذه المواقف تدل على أن الزهري كان مستعداً لتحقيق رغبات الحكام في ذلك كما زعم هذا المستشرق وأمثاله ؟

أما ما رواه يعقوب الفسوي قال : حدثني سعيد بن عُفَير حدثني حفص بن عمران بن (الرسام) عن السري بن يحيى عن ابن شهاب أن عبد الملك بن مروان قال له : يا بن شهاب ، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل ابن أبي طالب ؟ قلت : نعم ، قال : هَلُمَّ ، فقمت من وراء الناس ،

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٦١) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٣) .
(٢) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٣) وطبقات ابن سعد ص: (١٦٩) والمعرفة والتاريخ (١/ ٦٣٣) .

حتى أتيت خلف القُبة ـ أي التي كان يجلس فيها عبدالملك ـ وحوَّل وجهه فأحنى عليَّ ، فقال : ما كان ؟ قال : فقلت : لم يُرفع حجر في بيت المقدس إلا وُجد تحته دم ، قال : فقال : لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك ، فلا يُسْمَعنَّ منك . قال : فما تحدثت به حتى تُوفي [١] ، وبالتأمل في هذه الرواية نجد أن في سندها حفص بن عمران وقد قال عنه الذهبي : إنه لا يعرفه ، وأقره الحافظ ابن حجر ؛ مع أن الحاكم رَوَى عنه في المستدرك [٢] ، ويمكن حَمْل استجابة الزهري لطلب عبد الملك في الكتمان ، على أنه كان يرى في إذاعة ذلك إحياءً لإثارة الفتن والاختلاف على أمير اجتمع عليه أمر المسلمين ، وفي هذا من المفسدة ما لا يوازيه كتمان هذا الخبر كُلِّيَّةً أو إلى حين ، بدليل أنه لم يستمر على الكتمان ، بل رواه فيما بعد ذلك عند رؤيته أَمْنَ المفسدة ، ووصل إلينا كما ترى .

على أن هناك رواية أخرى بسند رجالُه ثقات ، رواها ابن سعد فقال : أخبرنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن معمر قال : أول ما عُرف الزهري ، أنه كان في مجلس عبد الملك بن مروان ، فسألهم عبد الملك ، فقال : من منكم يعلم ما صنعَت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ قال : فلم يكن عند أحد منهم من ذلك علم ، فقال الزهري : بلغني أنه لم يُقْلَبْ منها يومئذ حجر إلا وُجد تحته دمُ عَبيط ، قال : فَعُرِف ـ أي الزهري ـ من يومئذ [٣] ، وهذه الرواية تَفيد أن السؤال كان عما حدَث يوم مقتل الحسين بن علي ، لا يوم مقتل علي ، كما تفيد أن الزهري روى الخبر على مسامع الحاضرين جميعاً ، فَعُرِف به ، ولم يَطْلبُ إليه عبدُ الملك كتمانه .

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٢٩، ٦٣٠) وترجمة الزهري (٣٤ ـ ٣٥) .

(٢) لسان الميزان (٢/ ٣٣٠) .

(٣) الطبقات (القسم المحقق) ص : (١٦٣) .

وعلى هذا فليس في هذا الموقف على أي من الروايتين مطعن في الزهري كما ترى .

ولذا فإن الذهبي لما ذكر قول مكحول السابق : إن الزهري أفسد نفسه بصحبة الملوك ، تعقبه بقوله : قلت : بعضُ من لا يُعْتَد به لم يأخذ عن الزهري ؛ لكونه كان مُداخلاً للخلفاء ، ولئن فعل ذلك فهو الثَبْت الحجة ، وأين مثل الزهري رحمه الله ؟ (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٩) .

أما الانتقادات التي وجهها التابعي الجليل أبو حازم إلى الزهري كما جاءت في كتاب الحلية لأبي نعيم وهي رسالة في ثلاث ورقات وأزيد فإن في سندها راويًا مجهولاً ومشكوكًا في حاله . .

وأيضاً فإن هذه الانتقادات الموجهة للزهري من أبي حازم يعارضها تعديل الجمهور للزهري تعديلاً كاملاً مطلقاً . . فيكون الراجح ما عليه الجمهور . .

وثانيها : أن انتقاد أبي حازم للزهري متركز في صحبته للحكام الفاسدين في نظر أبي حازم ومجاراتهم في مفاسدهم ، وهذا مردود بما تقدم من شهادة الأوزاعي تلميذ الزهري ومعاصره بأنه ما داهن قط ملكاً دخل عليه . وبما تقدم من رده على هشام والوليد بشدة في قولهما المتقدم على علي بن أبي طالب . .

ثالثها : أنه طالما ثبت حدوث جفوة وعداء بين الجارح والمجروح وأن الجرح صدر بناء على اختلاف في الاجتهاد ، فلا يلزم المقول فيه ما قال الجارح . . فلا يقبل قول كل منهما في الآخر . .

انظر لسان الميزان (١/ ١٦) وقاعدة السبكي في الجرح والتعديل

(٩ـ٣٠) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

وهذا الكلام استفدته من شيخنا أحمد معبد حفظه الله في تحقيقه لكتاب النفح الشذي شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس ، من ص : ٥٤٧ ـ ٥٥٧ (بتصرف) .

أما قولهم إن الحافظ الزهري رحمه الله لم يَرْوِ للصحابي الجليل علي بن أبي طالب فضيلة قط . .

فهذا أمر مردود يرده الواقع . . فقد روى الزهري كثيراً من أحاديث علي رضي الله عنه ، وأخرجها عنه أصحاب دواوين السنة ، انظر مثلاً تحفة الأشراف للحافظ المزي ٨ / الأحاديث ذات الأرقام ١٠١٧٩ ، ١٠٢٤٦ ، ١٠٢٦٣ ، ١٠٣٣٢ .

بل قرر النسائي رحمه الله ورزقنا علمه أن من أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين (زين العابدين) عن الحسين بن علي بن أبي طالب . . وكذا قال ابن أبي شيبة كما في علوم الحديث للحاكم[١] .

وهناك شبهات أثارها المستشرق جولد تسيهر وغيره وإليك إياها مع أجوبتها :

---

(١) لمزيد من البحث عن الزهري انظر : تاريخ ابن عساكر (ترجمة الزهري) ، طبعت في مجلد ، سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ، المجلد الخامس ، والحلية لأبي نعيم ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وتهذيب الكمال للحافظ المزي ، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي . .

شبهة وأجوبة

١ ـ تربيته لولي عهد هشام

ومن شبه جولد تسيهر هي : أن هشام بن عبد الملك جعله مربيا لولي عهده وهي شبهة لا نصيب لها من الصحة ، إذ من المعلوم تاريخيًا أن ولي عهد هشام هو ابن أخيه : الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأنه لم يثبت أن الزهري قام بتربيته كما زعم جولد تسيهر ، ولا بتعليمه .

وإنما الثابت : هو ما بينهما من الجفاء والعداء بسبب ما يروي من إشارة الزهري على هشام بخلعه من ولاية العهد وإلحاحه في ذلك لما شاع عنه من سوء السلوك المنافي لمايجب أن يكون عليه من ينتظر منه أن يتولى أمر الأمة .

روي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : كان الزهري يقدح أبدا عند هشام في الوليد بن يزيد ويعيبه ويذكر أمورا عظيمة لا ينطق بها ، ويقول : ما يحل الله إلا خلعه ، فكان هشام لا يستطيع ذلك للعقد الذي عقده له ولا يسوؤه ما يصنع الزهري رجاء أن يؤلب ذلك الناس عليه ، قال أبو الزناد : فكنت يومًا عنده في ناحية الفسطاط واسمع ذرو كلام الزهري في الوليد وأنا أتفاءل فجاء الحاجب ، فقال : هذا الوليد على الباب ، فقال : أدخله فادخله فاوسع له هشام وأنا أعرف في وجهه الغضب والشر إلى أن قال : فأرسل إلى ليلة ، مختليًا بي ، فقدم العشاء ، فقال بعد حديث : يا ابن ذكوان أرأيت يوم دخلت على الأحوال وأنت عنده والزهري يقدح في فيخفظ من كلامه يومئذ شيئًا فقلت : أذكر يوم دخلت وأنا أعرف الغضب

في وجهك قال : كان الخادم الذي رأيت على رأس هشام نقل ذلك كله إليّ وأنا على الباب قبل أن أدخل إليكم وأخبرني أنك لم تنطق في بشيء إلى أن قال : قد كنت عاهدت الله تعالى أن أمكنني القدرة بمثل هذا اليوم أن اقتل الزهري فقد فاتني [١] .

وعن محمد بن عمر قال : أخبرنا محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري قال : كان عمي الزهري قد اتعد هو وابن هشام إن مات هشام بن عبد الملك أن يلحقا بجبل الدخان فمات الزهري سنة أربع وعشرين قبل هشام بن عبد الملك بأشهر وكان الوليد بن يزيد يتلهف لو قبض عليه[٢] .

ولا أظن أن جولد تسيهر ـ وهو الذي يتظاهر بأنه العليم بحركات الزهري الخبير بسكناته : يجهل هذه العلاقة المتوترة بين الزهري والوليد بن يزيد ، ولكنه أراد من ذلك أن يقرن اسم الزهري باسم شخص لم يحتفظ له التأريخ بذكر حسن تعريضاً به وتشويهاً لسمعته ، وإلا فإن الذين قام الإمام الزهري بتأديبهم هم أبناء هشام وليس ولي عهده المذكور ، وكان في تأديبه لهم ، ينطلق مما ألزم به نفسه من نشر العلم وتبليغه للناس على اختلاف مستوياتهم كما مر ، يضاف إلى ذلك ماكان يسعى إليه من غرس مباديء الدين وتعاليمه في نفوسهم وإعدادهم إعداداً روحياً وفكرياً مستمداً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، مناسباً لما كان يتوقعه لهم أو لبعضهم من ولاية أمور الأمة وقيادتها ، وقد أدب من قبله التابعي الجليل : عامر الشعبي أولاد عبد الملك بن مروان [٣] . للغرض ذاته ، وهذا هو دأب قادة الفكر والتوجيه .

---

(١) ابن سعد : الطبقات (١٧٣أ) ، والذهبي : تأريخ الإسلام (٥/ ١٤٠) .
(٢) ابن سعد : الطبقات (١٧٣ أ ١٧٣ ب) .   (٣) التلمساني : (نفح الطيب ٣ / ٣٣٦) .

٢ ـ حجه مع الحجاج

ومن شبهه أيضاً : ادعاؤه أنّ الزهري كان في حاشية الحجاج في حجه .

وهي شبهة أراد بها أيضاً أن يشوه سمعته ويهون على الناس أمره كالشبهة السابقة ، وذلك بضمه إلى حاشية رجل وصف بالظلم والجور ، معتمداً في ذلك على المناسبة التي جمعت بينهما والتي تحدث عنها الزهري بنفسه إذ قال فيما رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اقتد بابن عمر في المناسك فأرسل إليه الحجاج يوم عرفة إذا أردت أن تروح فأذنا فراح هو وسالم وأنا معهما وقال في آخره : قال ابن شهاب : وكنت صائماً فلقيت من الحر شدة [1] وليس في هذه الرواية كما ترى مايدل على أن الزهري كان من حاشية الحجاج ، أو أنه لقيه على الأقل وإنما كل ما يستفاد منها هو أنهما حجا في عام واحد ، وجمعتهما مناسبة واحدة ، ومما يفند هذه الفرية ويقضي عليها من الأساس هو أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان قد توفى سنة ثلاث وسبعين كما هو معلوم ، وكان الزهري يومها شاباً لايتجاوز عمره اثنين وعشرين عاماً على أعلى تقدير ولم يكن يومذاك قد اتصل بالأمويين ، بل لم يكن له علاقة بواحد منهم قبل سنة اثنتين وثمانين فضلا عن الحجاج .

٣ ـ قبوله جوائز الخلفاء

ومن الشبه التي تثار أحياناً هي : أن الإمام الزهري كان يقبل جوائز الخلفاء ، أو لماذا كان يقبلها ؟

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩ / ٤٥١ .

وللجواب على هذه الشبهة ، أو هذا التساؤل نقول : لقد كان الإمام الزهري طالبا وانتهى عالما وفي كلتا الحالتين كان متفرغا في الأولى لطلب العلم وجمعه ، وفي الثانية لتعليمه ونشره ، ولم يكن لديه من المال الموروث أو المكسوب ما يسد حاجاته الضرورية ، أو يضمن له الاستمرار في الطلب فكان لابد له والحالة هذه أن يقبل مساعدة الدولة ويأخذ منها مايسد حاجاته ويعينه على الطلب ، وكان أول من قدم له مثل تلك المساعدة : عبدالملك بن مروان ، حين قرر العودة إلى المدينة بناء على نصيحته له بذلك ، لمواصلة طلب العلم وجمع ماكان منه عند الأنصار ، وبعد أن جمع ماجمع من علمهم عاد إلى دمشق ، وأخذ يتردد إليها بين الحين والآخر ، إلى أن أقام فيها ، وتفرغ كلياً لتدريس العلم ونشره فأقبل إليه طلاب العلم من أهل الشام وغيرها ، ورحل إليه وهو فيها كثير من أبناء الأمصار الإسلامية الأخرى كما مر ، فأصبح بذلك يمثل مركزاً من أهم المراكز العلمية في الشام إن لم يكن أهمها على الأطلاق .

فكان لابد للدولة أن تمد له يد العون والمساعدة وتقدم له مايمكنه من الاستمرار في القيام بهذا العمل الجليل ، والإنفاق على ضيوفه وتلاميذه وقاصديه الذين كان ينفق عليهم بمنتهى البذل والسخاء ، حتى كان يضيق مافي يده أحياناً من الإنفاق عليهم ، فيضطر إلى الاستدانة ليصرف عليهم ويقوم بسد حاجاتهم ما أمكن ، لذا نرى أن أغلب ما أهدى إليه من الخلفاء كان موجهاً لسد الديون التي لحقته بسبب إنفاقه على تلاميذه وضيفانه روي عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : كنا نأتي الزهري ، فكان يقدم إلينا من الألوان كذا وكذا ، وفي رواية : كنا نأتي الزهري فيقدم إلينا كذا وكذا [١] .

(١) ابن عساكر : تأريخ دمشق (١١ / ٨١ أ).

وعن موسى بن عبد العزيز قال: كان ابن شهاب إذا أبى أحد من أصحاب الحديث أن يأكل طعامه حلف ألا يحدثه عشرة أيام [١] .

وعن مالك بن أنس عن ابن شهاب: أنه كان يشق الزق الذي فيه العسل فيلعق الناس ما فيه قال: ولم يكن ابن المسيب ولا غيره يفعل مثل هذا [٢] . لهذا أخذ الجوائز ولأنه كان يراها من مال الله تعالى وأن له فيه حقاً، روي أنه أخبر يوماً أن هشام بن عبد الملك قضى عنه بعض ديونه فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده [٣] .

ولم يكن الزهري أول من قبل الجوائز والمعطيات ولا آخر من قبلها بل قبلها غيره كثير من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

فقبلها: زيد بن ثابت من معاوية بن أبي سفيان [٤] كما قبلها عبدالله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر الطيار وعبدالله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر وغيرهم ممن كانوا يفدون عليه بدمشق، فيكرمهم ويقضي حوائجهم [٥] .

وكان للحسن بن علي بن أبي طالب على معاوية جائزة في كل عام وكان يفد إليه فربما أجازه بأربعمائة ألف درهم وراتبه كل سنة مائة ألف[٦] .

كما قبلها الكثير من التابعين أيضاً، كالحسن البصري والشعبي

---

(١) ابن عساكر: تأريخ دمشق (١١ / ٨٠ ب) .
(٢) ابن عساكر: تأريخ دمشق (١١ / ٨٠ أ) .
(٣) ابن عساكر: تأريخ دمشق (١١/ ٧٩ أ)، والذهبي: تأريخ الإسلام (٥ / ١٤٩) .
(٤) التلمساني: نفح الطيب (٣ / ٢٣٥) .
(٥) الفخري: (٨٦) .
(٦) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٨ / ٣٧) .

وإبراهيم بن يزيد النخعي ، وأبان بن عثمان وأبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي الزناد [١]. وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب الذي وفد على سليمان فأجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه [٢] .

وقبلها من بعدهم : مالك بن أنس وسفيان الثوري وأبو يوسف والشافعي وغيرهم .

روي عن سفيان الثوري أنه قال : جوائز السلطان أحب إلي من صلة الإخوان يمنون والسلطان لايمن [٣] .

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن أخذ جوائز السلطان مشروع إذا كان الآخذ محتاجاً لها ولم يترتب على أخذه لها مايخل بدينه ومروءته .

---

(١) انظر التلمساني : نفح الطيب (٣/ ٣٣٦) .
(٢) انظر اليعقوبي : التاريخ (٢/ ٢٦٩) .
(٣) التلمساني : نفح الطيب (٣/ ٣٣٦) ، انظر كتاب : الإمام الزهري وأثره في السنة للدكتور : حارث سليمان الضاري ، ص : (٤٤٩ ـ ٤٥٣) . فقد نقلت عنه هذه المعلومة والفائدة .

اتهام أبي نُعيم الأصبهاني في عقيدته

أبو نعيم الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام كان حافظاً مبرزاً عالي الإسناد . . هكذا وصفه الذهبي رحمه الله .

وقال ابن النجار : هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين . .

وقال ابن كثير : هو الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة .

الكلام على عقيدته :

تذكر المصادر أن مذهبه في الاعتقاد هو مذهب السلف وطريقته طريقة السلف في إثبات جميع الصفات على ما يليق بالله سبحانه دون تكييف أو تمثيل أو تحريف أو تأويل وذكر ذلك أبو نعيم نفسه في كتابه الاعتقاد . . ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الذهبي وابن القيم .

ولكن بعض المصادر ذكرت أن عقيدته عقيدة الأشاعر ، . . .

قال ابن الجوزي : كان يميل إلى مذهب الأشعري ميلاً كثيراً ونقل عنه ابن كثير في البداية . . وذكره ابن عساكر في أصحاب أبي الحسن الأشعري . وعليه اعتمد الأستاذ الدكتور محمد الصباغ في كتابه : أبو نعيم حياته وكتابه الحلية . .

وهذا خطأ وغير صحيح وذلك من الوجوه التالية :

١ ـ نقل ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة عقيدة أبو نعيم وأنها عقيدة

السلف من الأمة إذ صرح فيه بإثبات الصفات التي ورد ذكرها في القرآن والسنة الصحيحة وكذا نقل عقيدته الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه : العلو للعلي الغفار .

٢ ـ أنه ألف كتباً في العقيدة فيها مذهبه صريحاً وجلياً وهي :

١ ـ الاعتقاد . ٢ ـ رؤية الله .

٣ ـ أن أبا نعيم قد قضى فترة من أول حياته العلمية على مذهب أبي الحسن الأشعري . . ثم رجع عنه إلى مذهب السلف وقرره في كتابه الذي دوّن فيه عقيدته . . وهذا ماجعل ابن عساكر يذكره في أصحاب أبي الحسن الأشعري . .

٤ ـ أن هناك احتمالاً آخر وهو أن أبا نعيم كان يميل إلى مذهب الأشعري رحمه الله الذي استقر عليه في الفترة الأخيرة . . وكان ذلك هو المذهب السلفي بعينه .

٥ ـ إن الذين وصفوه بذلك إنما هي دعوى تحتاج إلى دليل . . ولا دليل على ذلك بل هو نفسه قد أفصح عن عقيدته السلفية . .

٦ ـ أن الخلاف الذي وقع بينه وبين ابن منده في ـ مسألة اللفظية ـ مشاجرة حتى صنف أبو نعيم كتاباً في الرد على الحروفية الحلولية !! وصنف أبو عبد الله ابن منده كتابه في الرد على اللفظ وبدّع أبا نعيم واتهمه ونال منه . .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله ورزقنا علمه : قد كان أبو عبدالله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة

وأصحاب أبي الحسن . . ونال أبو نعيم أيضاً من أبي عبدالله في تاريخه وقد عرف (ضعف) كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح[١] .

وقال الذهبي أيضاً : كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة ، أو لمذهب أو لحسد . . . وبهذه النقول يتضح لنا أن هناك أمراً ما يدعو إلى النفرة بينهما وهو الاعتقاد مما أدى إلى إلحاق التهمة بأبي نعيم أنه أشعري وذلك من قبل مؤيدي ابن مندة ليوقع الخلاف بينهما أكثر فأكثر . .

وحصل ماحصل لأبي نعيم حتى أصبح مهجوراً ومنعوه من الجلوس في الجامع (!!) فكان ذلك خيراً له . .

ومن المعلوم أن ابن منده كان وافر الجاه والحرمة . . إلى الغاية ببلده ولم يجد أبو نعيم طريقاً للخلاص منه سوى الهرب والاختفاء[٢] .

اتهامه بالتشيع وبراءته من ذلك :

هذا سخف وهراء . . وهي دعوى باطلة في حق أبي نعيم وهو منها بريء . . زيفها جماعة من المبتدعة ليستكثروا بها الأنصار والرجال . . ومثل هذا الصنيع يفعله كثير من الشيعة ، أمثال الخوانساري وغيره ، فقد

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٦٢) ومنهاج السنة لابن تيمية . .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٧ / ٤٦٢) وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص : ٢٤٦ ، ومقدمة معرفة الصحابة لأبي نعيم تحقيق : الدكتور محمد راضي بن حاج ، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٠٩٢) ، ولسان الميزان لابن حجر (١/ ٢٠١) وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٧٥) ، شذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٢٤٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ١٩ ـ ٢٨) .

ادعى في كتابه :

«روضات الجنات » أن أبا نعيم كان من الشيعة ـ وأخذ ينقل كلام علمائهم ليثبت دعواه . . فقد نقل عن صاحب . . «معالم العلماء» أنه قال في ترجمته الحافظ أبا نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني عامي (!!!) إلا أن له « منقبة الطاهرين ومرتبة الطيبين » .

وكتاب « مانزل من القرآن في أمير المؤمنين » انتهى . .

ثم نقل عن محمد حسين الخاتون أبادي قوله : (١)

وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء العامة هو الحافظ أبو نعيم المحدث بأصبهان صاحب كتاب : « حلية الأولياء » .

وكذا قال صاحب كتاب : « رياض العلماء » .

والجواب : أن هذا الكلام باطل وكذب وهو من خزعبلات الشيعة وكذبهم الواضح . . والبرهان والواقع يرد عليهم .

فمن ذلك أن أبا نعيم ألّف كتاباً كاملاً في الرد على الرافضة (وهو مطبوع) . .

استهله بثناء جميل ورائع على الصحابة وفضلهم وأورد الآيات والأحاديث الواردة في فضلهم . .

ثم أورد فضائل الخلفاء الأربعة وقال : « إن الصحابة هم خير الأمم» وقال : ولعمري إن الأمة المختارة المشهود لها بأنها خير الأمم لاتجتمع إلا على حق وهدى ، ومثل هذا القول في الثناء على الصحابة وتمجيدهم ومحبتهم

(١) يقصد بالعامة أهل السنة والجماعة (فتنبه) .

والترضي عنهم لايمكن أن يقوله شيعي رافضي كيف وقد تتبع في هذا الكتاب كل ما أثارته الرافضة من شبهات حول إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ولم يترك في ذلك شبهة إلا ردها بأدلة قرآنية أو حديثية مقنعة وحجج موفقة دامغة . . حتى توصل إلى أن إمامتهم وخلافتهم كانت بإجماع الأمة . . . [١] .

وأيضاً فقد ألف أبو نعيم رحمه الله كتباً عديدة في الصحابة مثل : «معرفة الصحابة» وهو مطبوع في عدة مجلدات ، وفضائل الصحابة ، وفضائل الخلفاء الأربعة .

والله يحمينا وعلماءنا وشيوخنا من كل حاسد وحقود بمنّه وفضله . . اللهم آمين . .

---

(١) استفدت مما تقدم من الأخ محمد راضي بن حاج عثمان في دراسته لأبي نعيم وتحقيقه لكتاب : « معرفة الصحابة» لأبي نعيم . وكذلك ماكتبه الدكتور علي ناصر فقيهي في تحقيقه لكتاب « الرد على الرافضة» لأبي نعيم .

اتهام ابن قتيبة رحمه الله بسوء عقيدته

ابن قتيبة أحد العلماء الأدباء واسمه : عبدالله بن مسلم بن قتيبة المروزي ولد سنة ٢١٣هـ ، وتوفي سنة ٢٦٧هـ وكان واسع الثقافة يقرأ علوم الهنود واليونان ، وقرأ التوراة والإنجيل .

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : وكان أهل المغرب يُعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة فيه ، يُتهم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تضيفه لاخير فيه [١] .

اتهامه في عقيدته والدفاع عن ذلك :

خاض ابن قتيبة في معركة الجدل الكلامي في مسألة خلق القرآن . . وناله مانال غيره من أهل الحديث . . وهو إمام أهل السنة وخطيبهم (قال هذه العبارة ابن تيمية) .

فوضع جملة من الكتب في الرد على القائلين بخلق القرآن ، وتحدى الملاحدة ، وأهل الشرك . . ومن كتبه في ذلك :

١ ـ الرد على من قال بخلق القرآن .

٢ ـ تأويل مشكل القرآن .

٣ ـ تأويل مختلف الحديث . وغيرها . .

وسأستعرض كلام من طعن فيه والجواب عن ذلك .

---

(١) تفسير سورة الإخلاص .

قال الدارقطني : إن ابن قتيبة كان يميل إلى المشبهة [١] .

وقال البيهقي : إنه يرى رأي الكرامية [٢] .

وقال الحاكم النيسابوري : إنه منحرف عن العترة النبوية ، ميّال إلى النصب وهو كذاب بإجماع الأمة [٣] (!!) .

والجواب : أنها تهم باطلة جملة وتفصيلاً . . وذلك أنها لو صحت لظهرت في كتب ابن قتيبة رحمه الله ، ولنقلها مترجموه كالخطيب البغدادي ، وابن الجوزي ، وابن خلكان .

وأما قول الدارقطني : إنه من المشبهة فذلك غير صحيح . . لأنه قد ألف (الاختلاف باللفظ في الرد على المشبهة) (وتأويل مختلف الحديث) في الرد على أهل التشبيه والتجسيم والتأويل . .

وأما قول البيهقي إنه يرى رأي الكرامية فهذا غير صحيح .

بل عقيدته عقيدة أهل السنة الجماعة . .

والبيهقي اتهمه بعضهم بأنه من الأشاعرة :

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية فارس المعقول والمنقول يقول عن ابن قتيبة : خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة .

أما كلام الحاكم النيسابوري فلأنه متهم بأن فيه تشيعًا . .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١٢ / ٣٤) وفيات الأعيان .
(٢) انظر : الكامل لابن الأثير تذكرة الحفاظ ، طبقات السبكي .
(٣) طبقات الشافعية للأسنوي(١/ ٤٠٩) والمنتظم لابن الجوزية ، ولسان الميزان (٥/ ٢٣٢) .

وأجـــمع الجلّة من المؤرخين [١] والمحـدثين على صـدقـه وسـلامـة عقيدته . . وحاشاه من الكذب . .

ولو عُرف بذلك لشنّع عليه خصومه ، ورغب الناس عنه .

ولما ذهب بعضهم إلى أن الوقيعة فيه ، ضرب من الزندقة كما ذهب أهل المغرب .

والله المستعان . .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١٠ / ١٧٠) وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٧٧) ، البداية والنهاية لابن كثير ، المنتظم لابن الجوزي .

اتهام الراغب الأصفهاني في عقيدته

يعتبر العلامة الأصفهاني الذي اشتهر بلقبه ، واسمه الحسين بن محمد من حسنات الري وعلمائها الأعيان . إمام في اللغة مبرز في زمانه . . تربو مؤلفاته على (٢٥) كتاباً . .

قال عنه الذهبي : العلامة الماهر ، والمحقق الباهر ، كان من أذكياء المتكلمين . . . وقال البيهقي : كان من حكماء الإسلام .

عقيدته : تكلم الناس في عقيدة الراغب الأصفهاني فقال قومه : هو من المعتزلة ، وقال آخرون هو من الشيعة . .

والصواب الذي لا ريب فيه أنه من أهل السنة والجماعة . .

ويدل على ذلك ما يلي :

١ ـ قال السيوطي كان في ظني أنه معتزلي حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من (القواعد الصغرى) لابن عبد السلام مانصه :

ذكر الإمام فخر الدين الرازي في « تأسيس التقديس » أن أبا القاسم الراغب كان من أئمة السنة . . ويتبين هذا من خلال كتابه : « مفردات ألفاظ القرآن » حيث نجده يرد على المعتزلة فمن ذلك رده على الجبائي شيخ المعتزلة في مادة (ختم) وعلى البلخي في مادة (خل) وأيضاً فقد قال الراغب الأصفهاني في كتابه (الاعتقاد) .

أما رؤية العباد لله عز وجل في القيامة فقد أثبتها الحكماء وأصحاب الحديث كما نطق به الكتاب والسنة .

وأمّا تشيعه فقد أراد الشيعة أن يجعلوه في صفهم ومن جماعتهم ؛ نظراً لكثرة علمه ، وسعة اطلاعه ، واستدلوا على ذلك بكثرة نقوله عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأئمة آل البيت .

وهذا ليس بحجة ، إذ حبُّ آل البيت جاءت به الأخبار الصحيحة ، فإذا ما أحبّهم أحدٌ ونقل كلامهم فلا يعني أنه شيعي ، وكثير من العلماء استشهدوا بأقوال آل البيت كالزمخشري مثلاً في « ربيع الأبرار » ، والغزالي في «إحياء علوم الدين» ، والفيروز أبادي في « بصائر ذوي التمييز» ، وغيرهم ، ولم يقل أحد إنهّم من الشيعة .

والذي يُبطل مزاعمهم أيضاً قول الراغب نفسه في رسالة الاعتقاد ، لما ذكر أهل البدع قال :

وأعظمهم فرقتان : فرقة تدبُّ في ضراء ، وتسير حسواً في ارتضاء ، تُظهر موالاة أمير المؤمنين ، وبها إضلال المؤمنين ، يتوصلون بمدحه وإظهار محبته إلى ذمّ الصحابة وأزواج النبيّ رضي الله عنهم ، وشهد التنزيل بذلك لهم ، ويقولون : كلامُ اللّه رموز وألغاز لا ينبيء ظاهره عن حق ، ومفهومه عن صدق ، يُجعل ذلك من الذرائع إلى إبطال الشرائع [1] .

وقال أيضاً في موضع آخر : والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعةٌ : المشبّهة ، ونفاةُ الصفات ، والقدرية ، والمرجئة ، والخوارج ، والمخلوقية ، والمتشيعة .

(١) انظر : رسالة الاعتقاد ص : ٤٣ .

فالمُشبّهة ضلّت في ذات اللّه ، ونفاة الصفات في أفعاله ، والخوارج في الوعيد ، والمرجئة في الإيمان ، والمخلوقية في القرآن ، والمتشيعة ضلّت في الإمامة .

والفرقة الناجية هم أهل السّنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة (١) .

كل هذا بيّن لنا أنّ الراغب ليس له من المعتزلة ولا من الشيعة ، بل من أهل السنة والجماعة(٢) . والحمد لله . .

---

(١) انظر : كتاب الاعتقاد : ص : ٥٤ .

(٢) انظر : ما كتبه الأستاذ : أختر جمال محمد لقمان في تحقيقه لرسالة الاعتقاد للراغب ، وكذلك ما كتبه الأستاذ : صفوان داوودي في تحقيقه لكتاب « مفردات ألفاظ القرآن » وقد أخذت منه .

اتهام الإمام النسائي بالتشيع

لايخفى على طالب العلم اسم الإمام النسائي رحمه الله صاحب السنن فهو الإمام المحدث الثقة الثبت أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان النسائي . .

ولد سنة ٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد عن الإمام النسائي : حافظ متقن .

وقال المزي : أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين . .

وقال الحافظ الذهبي : شيخ الإسلام . . الإمام . . ناقد الحديث . . كان من بحور العلم . .

عقيدته : هي عقيدة أهل السنة والجماعة . .

أما من زعم أن فيه تشيعًا فهم :

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية : وتشيع بعض أهل العلم بالحديث ، كالنسائي وابن عبد البر وأمثالهما لا يبلغ إلى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر . . .

٢ ـ وقال ابن خلكان : وكان يتشيع .

٣ ـ وقال الحافظ الذهبي : فيه قليل تشيع وانحراف عن خصوم الإمام علي كمعاوية وعَمرو ، والله يسامحه .

٤ ـ وقال ابن كثير : وقد قيل عنه إنه كان ينسب إلى شيء من التشيع .

٥ ـ وقال ابن تغري بردي : وكان فيه تشيع حسن .

الدفاع عن هذه التهم :

أولاً : إنهم اتهموه بالتشيع لأمرين :

١ ـ أنه صنف كتاباً في دمشق بيّن فيه فضائل وخصائص الإمام علي بن أبي طالب ، مع كونه لم يكن صنف في فضائل الخلفاء الآخرين .

٢ ـ زعمهم بأنه قد غض من منزلة الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه (وحاشاه من ذلك) .

فأما الجواب عن الأمر الأول : فقد بينه الحافظ النسائي رحمه الله حيث قال : دخلت دمشق [1] والمُنحرف بها عن علي كثير فصنفت كتاب «خصائص علي » رجوت أن يهديهم الله (يعني في تفضيل علي رضي الله عنه على معاوية) .

ويدل على هذا أن الإمام النسائي لما صنف فضائل الصحابة أخرج فيه أولاً : فضائل الشيخين وعثمان وجعل علياً هو الرابع . . بل أخرج في هذا الكتاب حديثين في فضل عمرو بن العاص .

وأما الجواب عن الأمر الثاني : فإن الإمام النسائي رحمه الله لا يظهر من عبارته قصد الغض من معاوية رضي الله عنه واسمع القصة كما يرويها ابن منده حيث يقول :

إن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق ، فسئل بها عن معاوية فقال : ما أعرف له فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنه) وفي رواية : قال

---

(١) وذلك سنة (٣٠٢ هـ) .

ألا يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يُفضل .

وعلى المسلم أن يحمل كلمة أخيه المسلم على أحسن المعاني وأجملها . .

فالنسائي رحمه الله ماقصد الغض من معاوية قط ولكن جرى أهل العلم والفضل كما قال العلامة عبدالرحمن المعلمي رحمه الله في التنكيل على أنهم إذا رأوا بعض الناس غلوا في بعض الأفاضل أنهم يطلقون بعض كلمات يؤخذ منها الغض من ذاك الفاضل ، لكي يكف الناس من الغلو فيه الحامل على اتباعه فيما ليس لهم أن يتبعوه فيه ، وذلك أن أكثر الناس مغرمون بتقليد من يعظم في نفوسهم والغلو في ذلك حتى إذا قيل لهم : إنه غير معصوم عن الخطأ والدليل قائم . . فدل على أنه أخطأ ولايحل لكم أن تتبعوه على ما أخطأ فيه . . قالوا : هو أعلم منك بالدليل ، وأنتم أولى بالخطأ منه . . ولذا ترى بعض أهل العلم يغض من مكانة ذلك الفاضل لردع هؤلاء السائمة . .

فمن ذلك ما يقع في كلام الإمام الشافعي في بعض المسائل التي يخالف فيها مالكاً من اختلاف كلمات فيها غض من مالك مع ما عُرف عن الشافعي من تبجيل أستاذه مالك رحمه الله . . ومنه ما تراه في كلام الإمام مسلم في مقدمة صحيحه مما يظهر الغض الشديد من مخالفة في مسئلة اشتراط العلم باللقاء . . والمخالف هو البخاري وقد عُرف عن مسلم تبجيله للبخاري . .

وأنت إذا تدبرت تلك الكلمات وجدت لها مخارج مقبولة وإن كان ظاهرها التشنيع الشديد . ومثله قول ابن عباس : كذب نوف البكالي في

قصة الخضر . وكلام عائشة في ابن عمر . . وغير ذلك . .

فقول النسائي في معاوية يخرج من هذا المخرج وعلى هذا تحمل كلمته . .

فقد رأى خلقاً احترقوا في حب معاوية ، وهلكوا في بغض علي رضي الله عنهما ، فأراد أن يغض من معاوية قليلاً حتى لا يهلك فيه ذلك المحترق . .

وإلا فقد قال النسائي وسئل عن معاوية : إنما الإسلام كدار لها باب ، فباب الإسلام الصحابة . . فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام ، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار ، قال : فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة[1] . وهذا دليل على صحة ماقلنا من براءة الإمام النسائي رحمه الله من التشيع . .

وأيضاً إن قوله ﷺ : « **لا أشبع الله بطنه** » رواه مسلم . لا يعد قدحاً في معاوية بل منقبة لمن تأملها . حتى قال الحافظ الذهبي : «ولعل هذه منقبة لمعاوية »[2] .

ووجه الاستدلال على هذه المنقبة الحديث الذي رواه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال لأم سليم :

« **أو ما علمت أني شارطت عليه ربي ؟ قلت اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً ...** » .

---

(١) ذكره المزي في تهذيب الكمال .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ١٣٠) .

وذكر الحافظ المزي رحمه الله عن الحافظ ابن عساكر أنه روى قول النسائي في معاوية ـ المتقدم ـ ثم قال :

وهذه الحكاية لاتدل على سوء اعتقاد أبي عبد الرحمن في معاوية ، وإنما تدل على الكف عن الكره بكل حال [١] .

---

(١) وقد استفدت في هذا المبحث من الأخ أبي إسحاق الحويني الأثري في مقدمة تحقيقه لخصائص علي رضي الله عنه ـ والله أعلم .

اتهام الإمام البخاري وبراءته من ذلك

الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله صاحب الصحيح وغيره من الكتب النافعة . . إمام ثقة . . جبل الحفظ . زاهد ، ورع ، ومع ذلك لم يسلم من أذى الحساد والجهال والأقران . . ولذلك فإن بعض المعاصرين له من أقرانه قد تحركت في نفوسهم الأحقاد حسداً منهم لما ناله من المرتبة العلمية والشهرة الواسعة . . وكانت فتنة خلق القرآن والكلام فيها . . قد اشتد . . ومعتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق . . والبخاري هذا هو معتقده رحمه الله . .

وسوف أسوق ماحصل بينه وبين الذهلي في مسألة اللفظ وكيف أن الحسد لعب دوراً كبيراً في تضليل العامة من الناس بإلصاق التهمة بالبخاري رحمه الله .

قال الحاكم رحمه الله في تاريخه : قدم البخاري نيسابور سنة (٢٥٠) فأقام بها مدة يحدث على الدوام قال فسمعت محمد بن حامد البزار يقول سمعت الحسن بن محمد يقول سمعت محمد الذهلي يقول : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه قال : فذهب الناس إليه فأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى قال : فتكلم فيه بعد ذلك . وقال الإمام مسلم : لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور مارأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث .

وقال أبو أحمد بن عدي ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول : لفظي بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال : ياأبا عبد الله ماتقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ .

فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثاً فألح عليه فقال البخاري : القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة . . والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال : قد قال لفظي بالقرآن مخلوق . . .

وقال الفربري : قال سمعت البخاري يقول : إن أفعال العباد مخلوقة . .

وقال غنجار في تاريخ بخاري حدثنا خلف بن محمد قال : سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول كنا يوماً عند أبي إسحاق القرشي ومعنا محمد المروزي فجرى ذكر البخاري فقال محمد بن نصر المروزي سمعته يقول :

من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله . .

فتبين مما سبق براءة البخاري رحمه الله من التهمة الموجهة إليه وهي مسألة اللفظ . .

بنص كلامه آنفاً وبكتابه الذي ألفه في هذه المسألة (خلق أفعال العباد) وهذا ما عرفه الناس عن عقيدة البخاري رحمه الله من زمنه حتى الآن . . والله يحمينا من كيد الحاسدين والحاقدين بمنّه وكرمه . . والله المستعان .

اتهام ابن حبان بالزندقة وبراءته من ذلك

من منّا لايعرف العلامة الحافظ محمد بن حبّان التميمي البستي السجستاني . . صاحب الكتب النفيسة في جميع الفنون ولد في مدينة بست إحدى مدن أفغانستان الحديثة .

ورحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب و كان صاحب همّه عالية . . وكان بحراً في العلوم فهو المحدث صاحب التقاسيم والأنواع ، والثقات والمجروحين وغير ذلك من الكتب ، وهو الفقيه . . وهو الأديب . . وهو الألمعي النجيب . . وكان عالماً بالكلام والطب وغير ذلك من فنون العلم .

محنته واتهامه :

الحسد الذميم وسموم الحقد ألهبت مشاعر أعداء وخصوم ابن حبان لما رأوا من منزلته الرفيعة بين الناس . . فهم يتربصون به هفوة أو سقطة . . ليملؤوا الدنيا نكيراً عليه ـ وينفروا قلوب الخلق عنه ـ .

ويتورط ابن حبان فيتفوه بعبارة صاغها أسلوبه في علم الكلام وفلسفة المعاني ، فيجد المتربصون به فرصة . . ليطعنوه طعنة قاتلة ليستريحوا منه فقد زل لسان ابن حبان فقال : (النبوة : العلم والعمل) فاتهموه بالزندقة ، فهجره الناس بل إن حساده رفعوا أمره إلى الخليفة . . ولولا أن الله سلّم لقطع رأسه . .

الجواب عن هذه البلوى والشبهة ما ذكره الحافظ الذهبي رحمه الله

حيث قال : هذه حكاية غريبة ، وابن حبان من كبار الأمة ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها قد يطلقها المسلم ، ويطلقها الزنديق والفيلسوف ، فاطلاق المسلم لها لا ينبغي ، لكن نعتذر عنه ، فنقول : لم يُرد حصر المبتدأ في الخبر ، ونظير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «الحج عرفة» ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجًا ، بل بقي عليه فروض وواجبات ، وإنما ذكر مهم الحج ، وكذا هذا ذكر مهم النبوة إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل ، فلا يكون أحد نبيًا إلا بوجودهما ، وليس كل من برز فيهما نبيًا ، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى ، لا حيلة للعبد في اكتسابها ، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح ، وأما الفيلسوف فيقول : النبوة مكتسبة نتيجتها العلم والعمل ، فهذا كفر ، ولا يريده أبو حاتم أصلاً وحاشاه [١] .

نعم والله . . حاشا وكلا . . أن يكون الإمام العلامة أبو حاتم يريد أن النبوة مكتسبة . . وهو المتحدث الفقيه الأديب الأريب .

ويجب على الإنسان المسلم إحسان الظن بالعلماء . . وحملهم على المحمل الحسن .

ويقول الذهبي رحمه الله في الميزان معلقًا على قول ابن حبان السابق : ولقوله هذا محمل سائغ ـ إن كان عناه ـ أي عماد النبوة والعمل ، لأن الله لم يؤت النبوة والوحي إلا من اتصف بهذين النعتين ، وذلك لأن النبي ﷺ ، يصير بالوحي عالمًا ، ويلزم من وجود العلم الإلهي العمل الصالح ، فصدق بهذا الاعتبار قوله :

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٦) .

النبوة العلم اللدني والعمل المقرب إلى الله .

فالنبوة إذًا تفسير بوجود هذين الوصفين الكاملين ولا سبيل إلى تحصيل هذين الوصفين بكمالهما إلا بالوحي الإلهي، وهو علم يقيني ما فيه ظن، وعلم غير الأنبياء منه يقيني، وأكثره ظني ، ثم النبوة ملازمة للعصمة، ولا عصمة لغيرهم، ولو بلغ في العلم والعمل ما بلغ . والخبر عن الشيء يصدق ببعض أركانه وأهم مقاصده . غير أنا لا نسوغ لأحد إطلاق هذا إلا بقرينة كقوله عليه الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**» أ . هـ .

إن ابن حبان رحمه الله قد طبقت شهرته الآفاق . . فهو من المكانة العلمية والزعامة الحديثية بمكان .

يقول عنه ياقوت الحموي :

«ومن تأمل تصانيفه تأمل مُنصف ، علم أن الرجل كان بحرًا في العلوم» .

والله المستعان . . .

اتهام طارق بن زياد بحرق السفن

اشتهر في كتب التاريخ التي تنقل بلا سند . . قصة فاتح المغرب العربي وأسبانيا طارق بن زياد لحرق السفن .

وهذه فرية وضعها بعض كتاب الإنشاء وتحسين العبارة البلاغية لإبراز فكرة التضحية عند طارق بن زياد . .

وإليك أخي المسلم بطلان هذه القصة :

١ ـ إن إحراق السفن فيه تضييع لأموال الناس .

٢ ـ إن عملية إحراق السفن لا يفيد عندما يقع الهلع في النفوس .

٣ ـ إن خبر الإحراق لم يذكره أحد من جنده أو معاصريه وإنما قيلت قبله بقرون .

٤ ـ لم يقل طارق بن زياد إني أحرقت السفن أو أمرت بذلك ، وإنما فهم بعض المتأخرين ذلك من خطبته المشهورة التي ورد فيها : « أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم» فهم فهموا من هذا الكلام إن البحر وراءهم وليس فيه وسيلة نقل تنقلهم إلى العدوة المغربية وهو فهم فيه شيء من السقم .

٥ ـ السفن ليست ملكًا لطارق حتى يتصرف فيها كيف يشاء .

٦ ـ لم يحاسب طارقًا أحد من قادته سواء أكان القائد العام موسى بن نصير أم الخليفة الوليد بن عبد الملك .

٧ ـ ألا يمكن لطارق أن يأمر بالسفن فتعود إلى العدوة المغربية فيصل إلى النتيجة نفسها وذلك أفضل من أن يحرقها ويخسرها المسلمون .

٨ ـ ألا يتوقع طارق طلب مدد؟ وهذا ما حدث فعلى أي شيء انتقل هذا المدد؟ لقد انتقل على السفن نفسها .

٩ ـ من أين جاء موسى بن نصير بالسفن التي انتقل عليها إلى الأندلس مع بقية الجيش عندما خاف على المسلمين الذين توغلوا بعيداً داخل الأندلس؟ لقد انتقل على السفن نفسها .

١٠ ـ لم تكن عملية إحراق السفن بالطريقة التي تلقي الحماسة في نفوس المسلمين، فقد عرف من جهادهم أن غايتهم إحدى الحسنيين .

١١ ـ إن رواية الحرق دونت لأول مرة في القرن الخامس الهجري أي بعد فتح الأندلس بأكثر من ثلاثة قرون ولم تؤيدها أيّة رواية أخرى .

وبهذا يتبين أن طارق بن زياد لم يحرق السفن بل بقيت لدى المسلمين وانتقل المدد إلى الأندلس عليها وانتقل قائدهم مع بقية الجيش إلى الأندلس عليها (١) .

---

(١) انظر في ذلك: مفهومات أساسية في التاريخ الإسلامي للأستاذ محمود شاكر، مجلة الفيصل عدد (١٦٣) التاريخ الأندلسي، ص (٦٢) لعبد الرحمن الحجي، فتوح إفريقية والأندلس، ص (٩٠)، نفح الطيب (١/ ٢٣٦) ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق (٢/ ٥٣٩) ودولة الإسلام في الأندلس، ص(٤٩) .

اتهام عبد الحق بن عطية بالزندقة

نحن الآن مع شيخ فاضل علامة زمانه لم يسلم من ألسنة الحاسدين والماكرين.

إنه واحد العصر، علم في رأسه نار..

إنه الشيخ القاضي الأديب أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي.

من أهل غرناطة ولد سنة ٤٨١ هـ أحد القضاة المشهورين بالبلاد الأندلسية.. ينتمي إلى بيت فضل وعلم.

كان فقيهًا عالمًا بالتفسير والأحكام، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر متفننًا في ذلك.

وكان مع ذلك من المجاهدين فقد غزا في جيوش الملثمين.

وله مؤلفات عديدة منها: تفسيره العظيم المسمى «المحرر الوجيز» وهو كتاب كاسمه فهو «محرر» دفع فيه الشبه وحرر ما هو محتاج إلى التحرير.

إتهامه بالزندقة:

أشار الزركشي إلى اتهام ابن عطية بالزندقة (!) وأفاد براءته منها، فنقل عن شيخه القاضي المفتي أحمد بن محمد القلجاني مايلي: يحكى أن بعض الأدباء دخل محلة عبد المؤمن فوجد أهل المرية يشكون قاضيهم الإمام أبا محمد عبد الحق وينسبونه إلى الزندقة قال: فأنشد:

أهل المرية قوم لا خـــلاق لهــم يفسقون فضاة العدل تفسيقًا

قالوا تزندق عبد الحق قلت لهـم والله ما كان عبد الحق زنديقًا

وصدق والله حاشا وكلا أن هذا القاضي الفاضل الشيخ عبد الحق بن عطية . . يتصف بتلك الصفة السوداء المرعبة . . ولكنه الحقد وسمومه نسأل الله العافية والسلامة [(١)] .

---

(١) انظر في ترجمة ابن عطية : بغية الوعاة : (٢٩٥) شجرة النور الزكية (١/ ١٢٩) طبقات المفسرين للسيوطي، فهرس الفهارس للكتاني (٢/ ٢٣٤) ، نفح الطيب (٢/ ٥٢٦) هدية العـارفين (١/ ٥٠٢) الديبـاج (٢/ ٥٧) تاريخ الدولتين للزركـشي ، تذكـرة الحـفـاظ (٤/ ١٤١) ، كشف الظنون ، مشيخة ابن عطية تحقيق محمد الزاهي والأجفان .

اتهام يعقوب الفسوي بالتشيّع

هذا إمام من أئمة الدين . . رحل في طلب العلم قرابة ثلاثين سنة .

إنه العلامة الحافظ الحجة المحدث أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوّان الفارسي الفسوي ولد في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري في مدينة فسا من مدن فارس .

وتوفي في مدينة البصرة في ١٣ رجب سنة ٢٧٧ هـ وقيل وفاته سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ومائتين [١] .

اتهامه بالتشيع : وقد وصفه بذلك ابن الأثير في الكامل (٧/ ٤٤٠) حيث قال : «وكان يتشيع» وقال ابن كثير : وقد نسبه بعضهم إلى التشيع» وكذا قال ياقوت في معجم البلدان .

الجواب : هذه فرية عظيمة وبهت واضح فكيف يقال ذلك عن أحد محبي السنة النبوية . . وأشدهم لها إتباعًا وهذا العلامة ابن حبان يصفه بالورع والنسك والصلابة في السنة .

وقال عنه ابن العماد . . أحد أركان الحديث . . وكان ثقة بارعًا عارفًا ماهرًا . .

وقال الحافظ ابن كثير عقب كلامه المتقدم . .

وما أظن ذلك صحيحًا عن يعقوب بن سفيان فإنه محدث كبير القدر .

---

(١) انظر في ترجمته معجم البلدان لياقوت (٣/ ٨٩٢) وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٨٥) والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٦٠) وشذرات الذهب (٢/ ١٧١) .

وقال الحافظ الذهبي: وقيل كان يتكلم في عثمان رضي الله عنه ولا يصح.

ومما يدل على أنه لا يتحامل على أحد من الخلفاء الراشدين.. أنه عقد فصلاً في فضائل الخلفاء الراشدين.. وذكر الأحاديث الصحيحة في فضائل عثمان بن عفان وأيضًا فإن عقيدته هي عقيدة أهل الحديث والأثر المعروفين باتباع الكتاب والسنة..

وأيضًا فإن كتاب «السنة» وكان منهجه فيه منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم في الترضي عن الصحابة ومحبتهم وإثبات رؤية الله وذم أهل البدع والأهواء.. وأن القرآن كلام الله غير مخلوق..

وكذلك مما يدل على عدم تشيعه الكلام على الشيعة فمثلاً في ترجمته لزبيد بن الحارث قال عنه: ثقة ثقة خيار إلا أنه كان يميل إلى التشيع.

فتبين بما تقدم بطلان اتهام هذا الإمام الحجة الحافظ بالتشيع [1].

---

(١) انظر فيما تقدم كتاب «المعرفة والتاريخ» للإمام الفسوي تحقيق الدكتور أكرم العمري وشرح السنة اللالكائي، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٨٧) وتهذيب الكمال للحافظ المزي.

اتهام الشيخ قاسم بن قَطْلُوبغا بالكذب

يعتبر العلامة الحافظ زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا [(١)] الحنفي أحد أوعية العلم والدين ولد سنة (٨٠٢هـ) بالقاهرة . يتميّز بقدرة فائقة على الحفظ والاستيعاب .

قال عنه تلميذه : وهو إمام علامة قوي المشاركة في فنون وأثنى عليه الحافظ ابن حجر ووصفه بالإمام العلامة ، المحدث ، الفقيه . . وكذا علماء عصره وصفوه بالذكاء وقوة الحافظة ، وأذن له مشايخه بالإفتاء والتدريس ، وكان من علماء الحنفية وأذكيائهم . . كتب الفوائد ، واستفاد ، وأفاد .

اتهامه بالكذب : وقال عنه البرهان البقاعي وكان مفنناً في علوم كثيرة، الفقه والحديث والأصول وغيرها ، ولم يخلّف بعده حنفياً مثله (!)

[إلا أنه كان كذّاباً ، لا يتوقف في شيء يقوله ، فلا يعتمد على قوله]

والجواب : سبحانك ربي هذا بهتان عظيم وافتراء باطل حمله على ذلك حسد المعاصرة ، وأيضاً بسبب الخلاف الذي وقع بين البقاعي وابن قاسم في فتنة ابن الفارض . .

وخير ما يُقال في مثل هذا : إنه كلام المتعاصرين وهو لا يقدح . .

ولم يقل بكلام البرهان البقاعي أحد ممن ترجم للعلامة ابن قطلوبغا أو

---

(١) قطلوبغا : اسم مركب من كلمتين تركيتين ، هما : قطلو ، بمعنى : المبارك أو الميمون ، وبغا ، بمعنى : الفحل ، والاسم يعني بجملته : الفحل المبارك أو الفحل الميمون .

وصفه . .

بل من كانت نشأته وهو صغير في حفظ علوم الشريعة وسفره في طلب العلم وثناء العلماء والأدباء عليه قاطبة . . ومن كان مُفنناً ومُتسلحًا بهذه القائمة الطويلة من علوم الإسلام ، ثم كان بهذا الذكاء المفرط والبديهة العجيبة ، فلا بدَّ وأن يتوقف فهم البقاعي عن إدراكه ومجاراته . . فينسبه إلى الكذب ظلماً وزوراً . . فما أقل إنصافك أيها البقاعي (!) [1] . .

ويظهر أن البقاعي تناول معظم أعلام عصره بالتجريح والنقد . .

ولذلك ابتلي بمن نقده وجرحه وحمل عليه وهو معاصره السخاوي في كتابه : «الضوء اللامع» ، وعسى الله أن يحمينا من الأشرار والأنداد والأضداد بحوله وقوته . .

---

(١) انظر في ترجمة العلامة قاسم في الضوء اللامع (٦/ ١٨٤) والبدر الطالع للشوكاني (٢/ ٤٥) وشذرات الذهب (٧/ ٣٢٦)والأعلام للزركلي (٥/ ١٨٠) ، وانظر ما كتبه الأستاذ إبراهيم صالح في مقدمته لتحقيق كتاب : «تاج التراجم» بن قطلوبغا وقد استفدت منه . . وكذا استفدت منه في تهذيبي واختصاري لكتاب هواتف الجنان للخرائطي وسقط في المقدمة هناك التنبيه على ذلك . . والله المستعان .

اتهام العلامة ابن الملقن[١] بسرقة الكتب

وهذا علم من أعلام المحدثين النبهاء ، لم يسلم من ألسنة الناس . .

الاتهام : قال ابن حجر : كان يُنْسب إلى سرقة التصانيف . . فإنه ما كان يستحضر شيئاً . .

ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس[٢] .

وقال أيضاً . . والمصريون ينسبونه إلى سرقة التصنيف[٣] . .

الجواب : هذا قول غير مقبول من صاحبه ولا مرضي عنه .

وقال الشوكاني في دفاعه عنه في كتابه : «البدر الطالع» (١/ ٥٠٨_٥١١)

وفي هذا من التحامل ما لا يخفى على منصف ، فكتبه شاهدة بخلاف ذلك مناديه بأنه من الأئمة في جميع العلوم ، وقد اشتهر صيته ، وطار ذكره، وسارت مؤلفاته في الدنيا» والله المستعان .

---

(١) انظر ترجمته في المصادر التالية : المعجم المؤسس بالمعجم المفهرس ، لحظ الألحاظ لابن فهد المكي ١٩٧ _ ٢٠٢ ، طبقات الشافعية ابن قاضي شهبة (٤/ ٥٣ _ ٥٨) ، الضوء اللامع (٦/ ١٠٠) ، النجوم الزاهرة (١١/ ٣٦٠) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١/ ٥٠٨) .

(٢) إنباء الغمر (٢/ ٢١٨) للحافظ ابن حجر .

(٣) طبقات الشافعية لأبن قاضي شهبة (٤/ ٥٧) .

اتهام ابن سيد الناس بسوء الأدب

ابن سيد الناس أحد علماء الشام واسمه محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس وكان طيب الأخلاق ، بسّاماً ، حلو النادرة ، حسن المحاضرة ، مليح الخط ، وقاد الذهن . . كثير التواضع[١] . .

والانتقادات الموجهة إليه ، والجواب عنها . . قد وجهت إلى ابن سيد الناس بعض انتقادات معظمها صادر من الذين أثنوا عليه .

فالذهبي ـ بعد الثناء عليه ـ يقول : وعليه مآخذ في دينه ، وهديه ، والله يصلحه وإيانا . .

وقال ابن كثير ـ بعد الثناء على عقيدته وخُلقه وعلمه . . ولم يسلم من بعض الانتقاد . . ويُذكر عنه سوء أدب وقال الكمال الإدفوي : ـ قرين المؤلف ـ في كتابه «البدر السافر» : وخالط أهل السفه وشراب المرام (الخمر) فوقع في الملام ، ورُشِقَ بسهام الكلام . .

والجواب : أن الذين ذكروا هذه الأمور قد سبقوها أو اتبعوها بذكر محاسن له تكفي في دفع تأثير تلكم الانتقادات في علمه ودينه . .

قال الذهبي بعد وصفه بالدعابة واللعب : إنه كان صدوقاً في الحديث .

وقول الإدفوي : إن المؤلف خالط . . وكذا قول ابن كثير والذهبي ،

(١) انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٣٣٠) الوافي بالوفيات للصفدي (١/ ٢٨٩) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ١٤٧) معرفة القراء الكبار للذهبي . .

فإن كل ذلك قد بريءمنه ابن سيد الناس فقد ذكر ابن حجر أن الملك الناصر (يعني محمد بن قلاوون) رأى جنازة ابن سيد الناس حافلة ، فسأل الجلال القزويني في صبيحة ذلك اليوم ، فذكر له مقداره ، وكان الفخر ناظر الجيش يغض من ابن سيد الناس ، فقال للناصر : إنه مع ذلك كان يعاشر الأمراء ، والوزراء قديماً ، فذكر ذلك الناصر للجلال القزويني (رئيس قضاة الشافعية) والتقى الإخنائي رئيس قضاة المالكية ، فبرآه من ذلك ، وشهد بعدالته ونزاهته وعفته . .

فهذه شهادة براءة له من قاضيين عدلين ، ومن جهة أخرى فإن الإدفوي قرين المؤلف وشريكه في ملازمة ابن دقيق العيد ، فانتقاده للمؤلف من تحامل الأقران[١] . .

---

(١) أفاد ما تقدم الدكتور أحمد معبد في ترجمته لابن سيد الناس في تحقيقه لكتاب : النفح الشذي بشرح جامع الترمذي . (بتصرف) .

اتهام السبكي للحافظ الذهبي

الحافظ الذهبي إمام علامة ناقد ثقة ثبت . . نفع الله بكتبه المسلمين فأصبحت كالشمس للناس وكالصحة للبدن . . فألف كتابه العظيم «سير أعلام النبلاء» ، وكتابه «التأريخ الكبير» و «تذهيب التهذيب» . . وجميعها في مائة مجلد كبير طبعت عدا الأخير . .

وكان من منهج الذهبي يرحمه الله نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم ليقدم صورة كاملة عنه . .

وقد تأثر بشيخه العلامة فارس المعقول والمنقول ابن تيمية رحمه الله ، وكان شافعي الفروع حنبليًا في الأصول ، ولذلك عنى عند النقد بإيراد العقائد على طريقة أهل الحديث رحمهم الله . .

وبسبب عقيدته رحمه الله التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة انتقد الذهبي من بعض معاصريه لا سيما تلميذه تاج الدين السبكي (٧٢٨ ـ ٧٧١) الذي اتصل بالذهبي وتتلمذ عليه سنة ٧٣٩هـ ولم يبلغ آنذاك اثني عشر عاماً ولا زمه . . حتى كان يذهب إليه في اليوم مرتين . . ومع ذلك فقد كان قد أساء إلى شيخه يقول عن الحافظ الذهبي : وكان شيخنا كثير الازدراء بأهل السنة !! ، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة ولذلك لا ينصفهم في التراجم (!) ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الراغم(١) . .

---

(١) انظر الطبقات (٢/ ١٣) ، (٣/ ٢٩٩) ، (٣٥٢ ـ ٣٥٣) ، (٤/ ٣٣) ، (٩/ ١٠٣ ـ ١٠٤) وانظر معيد النقم له أيضاً .

وقال في موضع آخر من طبقاته : وأما تاريخ شيخنا الحافظ الذهبي غفر الله له ، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط لا واخذه الله . .

فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدين ، أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق(!) واستطال بلسانه على أئمة الشافعيين والحنفيين ، ومال فأفرط على الأشاعرة ومدح فزاد في المحسمة[(١)] . .

وقال أيضاً[(٢)] : والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه(!) وعدم اعتبار قوله (!!) ، ولم يكن يستجري أن يُظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل ما يعاب عليه .

الرد عليه : إن السبكي من علماء الشافعية ولكنه شديد التعصب للأشاعرة ، وهذا ما حمله على سوء الأدب مع شيخه . . والله المستعان .

وقال عز الدين الكناني عن السبكي : هو رجل قليل الأدب ، عديم الإنصاف ، جاهل بأهل السنة ورتبهم . . نقل ذلك السخاوي في تاريخه .

وقال يوسف بن عبد الهادي في معجم الشافعية وكلامه هذا في حق الذهبي كان أجل من أن يقول ما لا حقيقة له . . والإنكار عليه أشد من الإنكار على الذهبي ، لا سيما وهو شيخه وأستاذه ، فما كان ينبغي له أن يفرط هذا الإفراط .

والذهبي رحمه الله كان يترجم للأحناف والشافعية بتراجم رائعة ليس فيها ذم ولا قدح وكتابه في التاريخ موجود بين أيدي الناس . .

(١) الطبقات (٩/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .
(٢) المرجع نفسه (٢/ ١٣ ـ ١٤) .

ولـم يكن الذهبي متعصباً للحنابلة . . فقد تناول مساوئ بعضهم فقد نقل عن الإمام ابن خزيمة في ترجمة الطبري المؤرخ قولـه : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة[1] . .

(١) لمزيد من البحث في هذا الموضوع : انظر ما كتبه الدكتور بشار عوّاد في كتابه : «الذهبي ومنهجه في تارخ الإسلام» . . وقد استفدت منه كثيراً .

اتهام الحافظ ابن حجر بالزنى

التكلم في العلماء والدعاة والطعن فيهم من أكبر الكبائر.. خاصة إذا كانوا بُراء من ذلك.

وينسى أولئك أن الله سائلهم عن غمطهم واحتقارهم وافترائهم على هؤلاء الأطهار..

ويا للعجب من أولئك الذين استهانوا بأمر القذف الشنيع.. مع علمهم بحكم الله في القذف ولا يكون ذلك إلا من قلة في الدين (!) واختلال في العقل.

ومن ذلك رمي زاهد الكوثري للعلامة الحافظ ابن حجر بالزنى والعياذ بالله.

قال الأستاذ المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المتوفى سنة ١٣٨٠هـ في كتابه: بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري، ص: (٤٨، ٥١).

قال: وأما الحافظ ابن حجر فإنه يحكي عنه في مجالسه أنه لفرط غرامه بالزنى كان يتبع النساء في الشوارع حتى إنه تبع ذات يوم امرأة ظنها جميلة، فلما مدت يدها إليه إذا هي سوداء، فرجع عنها، وقال لها بيدك فضحت نفسك!!

الجواب: بئس ما نطق به زاهد الكوثري ﴿**ستكتب شهادتهم ويسئلون**﴾ وتعساً للعالم يسْمح للسانه وقلمه أن يتفوه بهذا الكذب المكشوف

والقذف المفضوح . . على إمام الأئمة واحفظ خلق الله . . وأحد أذكياء العالم .

والذي قال عنه كبار العلماء : إن من أعظم منن الله تعالى على هذه الأمة بعد الهداية للإسلام وجود الحافظ ابن حجر رغم أنف كل حقود حسود .

قال الحافظ الغماري في رده على الكوثري :

فما يفعل شيئًا من يذيع مثل هذا إلا أنه يدرج نفسه في زمرة الكذابين ، المشيعين للفاحشة في المؤمنين وقد قال الله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النحل : ١٠٥] وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [سورة النور : ١٨] .

وأنت القائل أو الناقل في «تأنيبك» ، ص (٣٤) ما نصه : ولا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى ، واليوم الآخر أن يثلم عرض أحد من المسلمين بمثل ذلك فكيف بإمام من أئمة المسلمين» .

فأين أنت من نقلك هذا؟! فقد ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف : ٣] .

وهل يصدق عقل أو يقبل منطق أن الحافظ ابن حجر وهو شيخ الإسلام ، وإمام العصر ، واحفظ الحفاظ ، وصاحب تلك المكانة السامية في عصره ، والجلالة التي كانت تناطح جلالة الملوك يتبع النساء في الشوارع للزنى بهن ، إن هذا لعجب .

فليعلم العاقل أنه لا حيلة لهم في خفض من رفع الله شأنه مهما أكل

الحسد قلوبهم ! [١] .

قال الحازمي ـ عفا الله عنه وسدد خطاه ـ وثمّة أمر آخر هو أن زاهدًا الكوثري من المشتغلين بعلم الحديث . . فهو يعلم أن الإسناد من الدين . . ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء . . كما قال التابعي الجليل عبد الله بن المبارك رحمه الله .

فأين الإسناد الصحيح لهذه القصة الشنيعة ومن أين استقاها . . ولماذا ينشرها في المجالس إنه التعصب المذهبي . . فزاهد كوثري . . (مجنون أبي حنيفة) .

والحافظ ابن حجر رحمه الله شافعي المذهب .

يقول الأستاذ الغماري :

وسر هذه الحملة أن الحافظ (ابن حجر) كان يحمل على بعض الحنفية في كتب التراجم . . مثل« الدرر الكامنة» ، «ورفع الإصر» ، وقال عن العيني الحنفي :

كان يأخذ كراريس من« فتح الباري بشرح صحيح البخاري» من بعض طلبته .

فيستفيد بها في «شرحه» فلما علم الحافظ ذلك ، منع إعطاء الكراريس للطلبة . . أهـ .

فتبين لك مما تقدم براءة الحافظ ابن حجر من اتهام زاهد الكوثري .

ولعل القصة من صنع يده . . ونسأل الله العافية .

---

(١) هناك رسائل علمية دكتوراه في ترجمة ابن حجر العسقلاني .

اتهام شيخ الإسلام بالتجسيم

شيخ الإسلام ومفتي الأنام قدس الله روحه ونور ضريحه ظُلم ظلمًا شديدًا من أعدائه وحساده.

فمن ذلك ما نقله ابن بطوطة في رحلته عن شيخ الإسلام حيث قال: وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلاأن في عقله شيئًا (!!!).

إلي أن قال: وكنت إذْ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة (٩ أو ١٠) من رمضان وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا.. ونزل درجة من درج المنبر.

هكذا قال ابن بطوطة في رحلته عن شيخ الإسلام.

والرد: أن هذا افتراء وكذب وبهت وذلك من وجوه:

١ ـ إن شيخ الإسلام عقيدته التي حُورب من أجلها ودخل السجن وعُذب وابتلى في دينه هي عقيدة أهل السنة والجماعة وهي: أن الله ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه.. وهذا موجود في كتب ابن تيمية قاطبة التي كتبها في العقيدة.

وأيضًا فقد أفرد لحديث النزول وهو حديث أبي هريرة «إذا كان الثلث الأخير من الليل فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا»[١].

---

(١) الحديث في البخاري ومسلم وهو حديث متواتر.

كتاباً مشهوراً بين الناس [١] . قرر فيه معتقد أهل السنة والجماعة في صفة نزول الله سبحانه وتعالى ورد فيه على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى (٥/ ٢٦٢) : وكذلك أن جعل صفات الله مثل صفات المخلوقين استواء الله كاستواء المخلوق أو نزوله كنزول المخلوق فهذا مبتدع ضال فإن الكتاب والسنة دلت على أن الله لاتماثله المخلوقات في شيء من الأشياء .

٢ ـ إن ابن بطوطة ذكر أنه دخل دمشق يوم الخميس ٩ رمضان عام ٧٢٦هـ بينما شيخ الإسلام ابن تيمية دخل سجن القلعة يوم الأثنين بعد العصر، في السادس من شهر شعبان من السنة نفسها أي عام ٧٢٦هـ وقد ذكر ذلك من ترجم من العلماء الثقات كتلميذه ابن عبد الهادي في كتابه : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، والبزار في كتابه عن ابن تيمية وغيرهم .

٣ ـ إن ابن تيمية لم يكن يعظ الناس على منبر الجامع كما ذكر ذلك ابن بطوطة، بل كان يعظهم على كرسي كما قصى ذلك تلميذه الإمام الذهبي .

٤ ـ ابن بطوطة لم يكتب الرحلة بنفسه بل أملاها على ابن جُزي واسمه محمد بن جزي الكلبي وابن جزي كان أول المشككين في صحة بعض ما جاء في تلك الرحلة حيث يقول : وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار ولم أتعرض للبحث عن حقيقة ذلك [٢] .

---

(١) وهو كتاب [شرح حديث النزول] طبع المكتب الإسلامي في بيروت .

(٢) انظر أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد الشيباني ص (٥٨ ـ ٥٩) =

٥ ـ إنه قد حضر صلاة الجمعة المزعومة تلك: جمع من الناس.

فأين أولئك الناس عن نقلها بل أين تلامذة شيخ الإسلام رحمه الله عن نقلها . . وهم ينقلون حركاته وسكناته . . وكلامه وأحاديثه.

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية . .

وكم كذبوا عليه، وبهتوه، وقولوه أشياء هو بريء منها.

والأمر كما قال تلميذه العلامة ابن القيم في نونيته:

فالبُهت عندكم رخيص سعره حشوا بلا كيل ولا ميزان

وما أجمل ما كتبه عنه القاضي كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله.

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر [١]

= وأخبار وكتب ورجال وأحاديث تحت المجهر لعبد العزيز السدحان والكتب التي ترجمت لشيخ الإسلام ونقلت مناظراته وأحواله .

(١) وانظر غاية الأماني في الرد على النبهاني للعلامة محمود الألوسي (٢/ ١٢٧ ـ ٢٠٠).

من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كان كافرًا لا تصح الصلاة خلفه

الحسد أكثر ما يكون بين العلماء والأقران والأضداد والأنداد وشيخ الإسلام ابن تيمية علم جهبذ ناقد من أذكياء بني آدم .

ولكن لم يعجب بعض متعصبي المذاهب .

فانظر أخي القاريء منّ الله علينا وعليك بالهداية والفلاح والنجاح . . إلى ما يقوله محمد بن محمد البخاري (علاء الدين) وهو فقيه حنفي ولد بإيران سنة (٧٧٩) ورحل إلى مكة والهند ومصر والشام وبها توفي سنة ٨٤١ هـ .

يقول في كلمته الجائرة على ابن تيمية «إن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر» [(١)] .

وقد رد عليه العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله مبينًا معنى كلمة شيخ الإسلام . . ؟ وما الكفر .

ثم ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية وترجم للعلماء والأدباء والفقهاء الذين لقبوا شيخ الإسلام ابن تيمية بذلك وعددهم (٨٧) عالمًا .

قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله : وفي عصرنا هذا الذي قلّ

---

(١) تنبيه : وممن أنكر أن يسمى شيخ الإسلام بهذا الاسم ابن حجر الهيثمي ومن المعاصرين زاهد الكوثري في مواضع متعددة من تعليقاته . . بل رماه بنعوت لا تصدر عن عوام . . هوام . . فضلاً عن عالم مطلع . . حتى قال عبارته المشهورة : إذا كان ابن تيمية شيخ الإسلام فعلى الإسلام السلام (!!) .

فيه من يدري هذا الفن «يقصد فن الجرح والتعديل» أو يرويه أو يحقق تراجم من رأى من أهل مصره فضلاً عمن لم يره أو مات قبل عصره، قد نطق فيه من لا خبرة له بتراجم الرجال ولا عبرة له فيما تقلده من سوء المقال ، ولا فكرة له فيما تطرق به إلى تكفير خلق من الأعلام بأن قال :

من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كان كافراً لاتصح الصلاة وراءه وهذا القول الشنيع الذي نرجو من الله العظيم أن يعجل لقائله جزاءه . . قد أبان قدر قائله في الفهم ، وأفصح عن مبلغه من العلم وكشف عن محله من الهوى . . . وكلام الإنسان عنوان عقله[1] . . انتهى .

ثم شرع في نقل كلام العلماء في الثناء على ابن تيمية وبيان منزلته العلمية .

فهذا أحدهم يقول : أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على ما نقل إلينا من الذين عاشروه . . .

كان عالماً متفنناً متقناً متمكناً من إقامة الأدلة على الخصوم حافظاً للسنة . . عارفاً بطرقها مجتهداً لا يخاف في الله لومة لائم . . قائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم . .

وقد اجتمع في جنازته من الخلق مالايحصى . . حتى شبهت جنازته بجنازة الإمام أحمد رحمه الله .

ولو لم يكن من آثاره إلا ما اتصف به تلاميذه من الآثار والعلم لكفى فمنهم الحافظ الذهبي وابن كثير وابن قيم الجوزية وغيرهم . . فمن كان متصفاً بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الإسلام ؟

---

(١) انظر الرد الوافر ص : ١٥٢ ـ ١٥٣ (بتصرف وإضافة من قبلنا) .

قال الحازمي ـ عفا الله عنه وسدد خطاه ـ الكلام على شيخ الإسلام رحمه الله والنيل منه بلا مبرر من علامات النفاق والعياذ بالله فهو رحمه الله أسد السنة . وهو عالم بجميع علوم الشريعة ولكن الإحاطة لله . .

والإنسان لا يسلم من الناس . .

وهذا الظالم لنفسه المدعو محمد البخاري (علاء الدين الحنفي) حمله على ذلك الهوى والحسد . .

بل قد قال في أحد مجالسه : « إن ابن تيمية كافر مجوسي ، النصارى واليهود خير منه . . فإن النصارى واليهود لهم كتاب ، وابن تيمية لا كتاب له » فنعوذ بالله من هذه النزعة الشيطانية القبيحة مع أنه لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضي كفراً ولا فسقاً ولا ما يشينه في دينه . .

ونعوذ بالله من نزغات الشيطان وتوهينه . .

وعسى الله قيوم السموات والأرض أن يحمينا من شياطين الإنس والجن بمنه وكرمه . . والله المستعان [١] .

---

(١) انظر : في الكلام على شيخ الإسلام ابن تيمية الدراسات والمؤلفات التي كتبت عنه . .
وانظر : مقدمتي لكتاب ابن تيمية : رؤية الهلال والحساب الفلكي »
وانظر : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي .

اتهام الملاح ابن ماجد بالخيانة

الملاح أحمد بن ماجد متهم بتهمة خطيرة فظيعة ترقى إلى مستوى الخيانة العظمى.

متهم بأنه هو الذي قاد سفن فاسكودي جاما من السواحل الأفريقية الشرقية إلى السواحل الهندية الغربية.. فجلب بذلك الدمار والاستعمار.. لا على قومه وبلاده فحسب، بل وعلى الشرق بأجمعه.

إن المرء ليصاب بالدهشة كيف تلقى مثل هذه التهمة، على تهافتها وسخفها هذا القبول والتأييد؟ لقد انطلقت هذه التهمة في سنة ١٩٢٢م وقد نقل هذا الادعاء صاحب كتاب (البرق اليماني) ألا وهو الأستاذ محمد بن أحمد النهروالي وقد اتهم فيه ابن ماجد وهذا الأستاذ مبتلى بمعاداته لقومه.. والتحامل على العرب وذمهم.. وقد وضعه سنة ١٥٧٠م والثاني هو (فران) وهو مستشرق فرنسي تخصص في تاريخ الملاحة الشرقية.

يقول النهروالي: وقع في أول القرن العاشر من الحوادث الفواجع النوادر، دخول البرتغال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق (طريق) سبته في البحر ويلجون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من جبال القمر، ويصلون إلى المشرق ويبحرون بموضع قريب من الساحل في مضيق أحد جانبيه جبل (!!) والجانب الآخر بحر الظلمات (!!!) في مكان كثير الأمواج، لا تستقر به سفنهم وتنكسر ولا ينجو منهم أحد، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن

خلص منهم غراب إلى الهند . . فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد، صاحب كبير الفرنج، وكان يقال له (الملندي) وعاشره في السكر فعلمه الطريق في حال سكره (!! وقال لهم: لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وأوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا في البحر الهندي وبنوا في (كوّه) من بلاد الركن قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز) . . ثم صارت الإمدادات تأتيهم من البرتغال، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين ويأخذون كل سفينة غصبًا . . إلي أن كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين .

هذه هي قصة الاتهام كما وضعها النهروالي ثم جاء المستشرق (فران) فزاد في الطين بلّة والطنبور نغمة .

حيث حدد مكان اللقاء في ميناء (ملندي) وحدد تاريخه بـ ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٨م أو خلال زيارة فاسكودي جاما (ملندي) في ذلك الشهر ، وحدد شخصيته (الملندي) على أنه فاسكودي جاما ذاته ولكنه حاول أن يدفع تهمة السكر عن أحمد بن ماجد ليثبت عليه اقتراف ذلك العمل الشنيع الخيانة العظمى وهو في كامل وعيه مالك لقواه العقلية ، ، بل وزاد (فران) أن ابن ماجد تولى قيادة فاسكودي جاما من (ملندي) إلي كليكوت . .

وهذا اتهام كاذب وباطل، وخلط واضطراب وأخطاء تاريخية وجغرافية .

إن اجتماع فاسكودي جاما بأحمد بن ماجد (لم يحصل على فرض وقوعه إلا بعد وصوله الهند وعودته منها) .

ولذلك فلا يمكن أن يكون الربان الذي تولى قيادة سفنه إلى الهند هو أحمد بن ماجد لأنهما لم يلتقيا إلا بعد العودة، وإما أن يكون هذا الملندي شخصًا آخر غير فاسكودي جاما، وإذن فأحمد بن ماجد لم يقم بقيادة فاسكودي جاما لأنه لم يلتق به وإنما التقى بشخص آخر غيره.

يقول الدكتور أنور عبد العليم : «والواقع أننا بعد قراءتنا لمؤلفات ابن ماجد وأراجيزه ومنها الراهمانجات الثلاث بتمعن يمكننا أن نقرر بكثير من الثقة والاطمئنان بأن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحي لمراكب دي جاما، ولا لغيره من الاميرالهات البرتغاليين الذين أبحروا بعده من ساحل أفريقيا الشرقي إلى الهند.

وقال عن رواية النهروالي «إن الخلط يبدو واضحًا في مقال النهروالي سواء بالنسبة للحوادث المكانية أو الزمانية. . انتهى.

ومما يؤكد براءة ابن ماجد من اتهامه. . أن اسم ابن ماجد لم يرد قط في مؤلفات المؤرخين البرتغاليين القدماء ومنهم من عاصر فاسكودي جاما، وفيهم من صحبه في رحلته الأولى إلى الهند. . ومنهم كستنييدا ودي باروش» ويقول باروش: وقد اطلع فاسكودي جاما، ذلك المسلم على الاسطرلاب الخشبي الكبير الذي معه وعلى غيره من الإسطرلابات المعدنية التي كان يقيس بها ارتفاع الشمس فلم يدهش المسلم لرؤية تلك الآلات . . وقال إن العرب في البحر الأحمر يستعملون آلات من النحاس مثلثة الشكل . . الخ كلامه.

فلم يذكر كستنييدا أحمد بن ماجد وإنما ذكر في مقالة أخرى اسمه (كاناكا) أو معلموكانا فتبين أسطورة من النهروالي و(فران) الذي ذكرها في دائرة المعارف الإسلامية المليئة بالتحريفات والتصحيفات على الله وعلى

رسوله وعلى هذا الدين العظيم . . ورجاله العظماء[١] .

---

(١) انظر لمزيد من البحث حول هذا الموضوع : كتاب ابن ماجد الملاح للدكتور أنور عبد العليم ، دائرة المعارف الإسلامية ، (البرق اليماني) للنهروالي تحقيق حمد الجاسر ، ص : (٣٧)، الملاحة وعلوم البحار عند العرب للدكتور أنور عبد العليم مجلة العرب ، ص (٣٧٤ـ ٣٧٥) ، (٦٣٩ـ ٦٤٠) .
وأبحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية المنعقدة في أبو ظبي محرم ، ١٤٠٠هـ (مقالة أنا وابن ماجد وآخرون) للأستاذ علي التاجر وقد استفدت منه كثيراً .

اتهام الخليفة محمد الفاتح بأنه خنق أخاه من الرضاعة

يعد الخليفة محمد الفاتح أحد السلاطين الأقوياء في الدولة العثمانية . .
فهو الذي دمر الأمبراطورية البيزنطية، وفتح عدة ممالك ومدن منها كورنته وغالاتا وارغوس وجنوه، وقاد الجيش بنفسه في حصار بلغراد عاصمة صربية تم فتحها بفضل الله واستولى على مملكة طرانبرون اليونانية، وفي عام ١٤٦٢م فتح رومانيا ، والبوسنة والهرسك وأصبحت ألبانيا وقونية جزءًا من الدولة العثمانية .

وفي عام ١٤٧٦م فتح هنغاريا وملدوفيا ويكفيه فخرًا وعزًا أنه حقق بشارة النبي ﷺ حين قال: «لتفتحن القسطنطينية ، فنعم الأمير أميرها، ونعم الجيش ذلك الجيش».

أما قصة قتله لأخيه الرضيع أحمد فهي قصة مكذوبة وضعها أعداء الدولة العثمانية لتشويه سيرة هذا البطل المجاهد السلطان محمد الفاتح رحمه الله .

والأدلة على هذه القصة المكذوبة ما يلي:

١ ـ إن الثابت أن أحمد مات غريقًا في حوض الماء بعد أن غفلت عنه مربيته .

٢ ـ هل يعقل أن سلطانًا كبيرًا يغار من أخ له رضيع أقصى مناه مذقة حليب (!) .

ولا يمكن التنبؤ بنواياه وأطماعه فيقتله استباقًا للأحداث بدلاً من أن

يربيه على طاعة الله وطاعة رسوله وعلى الإخلاص . . ويشربه الولاء لدولة الخلافة .

٣ ـ إن السلطان محمد الفاتح تربى تربية إسلامية على يد ثلة من علماء عصره مثل الشيخ محمد جبلي زاده والشيخ سراج الدين الحلبي ، والشيخ إسماعيل الكوراني (الذي كان الفاتح يسميه أبا حنيفة زمانه) .

٤ ـ أنها نقلت بدون خطام أو زمام . . وإنما لفقها أحد أعدائه . . [(١)] .

٥ ـ طريقة القتل المزعومة تبين سخف وبطلان هذه القصة : فقد زعم مروجو هذه الفرية أن السلطان محمد الفاتح أرسل أحد قواده واسمه علي بك إلى جناح النساء لقتل أخيه الرضيع ، فلما علم علي بك أن الطفل موجود في حمام النساء حيث تقوم مربيته بغسله ، اقتحم الحمام وأمسك بالطفل الرضيع وغطسه تحت الماء حتى مات مختنقًا غرقًا . . أي هراء . . هذا .

وهل يصدق عاقل أن محمدًا الفاتح، وهوالذكي المحنك يقدم على قتل أخيه الرضيع بهذه الصورة المكشوفة الساذجة . . . ؟ وهل يصدق عاقل أن محمدًا الفاتح كان عاجزًا عن تكليف إحدى النساء ، كزوجته ، أو إحدى خادماتها بتنفيذ عملية القتل من دون إثارة انتباه أحد . . بدل أن يرسل رجلاً إلى جناح النساء، وهو أمر غير مألوف ، بأن يقتحم هذا الرجل حمام النساء . . حيث يكن فيه متحللات من حجابهن ومتخففات من كثير ملابسهن، وفي ذلك مافيه من خروج مستهجن عن المألوف، من شأنه لو تحقق فعلاً أن يثير من هياج النساء وضجيجهن ، وصخبهن ، ما يضطر ذلك

(١) لمزيد من البحث في هذا الموضوع انظر كتاب : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانين الأتراك .

الرجل إلى الفرار قبل أن ينفذ مآربه ، مهما بلغت به الجرأة والنذالة؟! .

إذن ما حقيقة هذه الفرية . . .

الحقيقة هي أن المربية التي كان موكلاً إليها أمر العناية بالطفل الرضيع أحمد، انشغلت لبعض شأنها بينما كانت تغسله . . فوقع في حوض الماء . . فمات مختنقًا غرقًا قبل أن تتداركه الأيدي التي امتدت لانقاذه بعد فوات الأوان (١) .

فتبين مماسبق براءة السلطان محمد الفاتح من تلك التهمة . . وإنما هي فرية صنعها الحاقدون الحاسدون .

عسى الله أن يكفينا شر كل حقود وحسود بمنّه وفضله . . اللهم آمين .

(١) من كتاب : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك للأستاذ زياد أبو غنيمة ص : (١٧٨ ـ ١٨٣) .

قراقوش المفترى عليه

قراقوش حاكم يضرب به المثل ظلمًا وزورًا لكل حاكم فاسد الحكم ، فكلما أراد الناس أن يصنعوا حكمًا بالجور والفساد قالوا : هذا حكم قراقوش .

ومعنى قراقوش بالتركية : النسر الأسود (قوش : نسر ، قرا : أسود) .

فمن قراقوش؟

إنه أحد قواد الإسلام وكان أعجوبة في أمانته . . اتصل هذا الفتي بضابط كبير ألا وهو أسد الدين شيركوه . . وكان هذا الضابط يعمل هو وأخوه نجم الدين أيوب في خدمة الملك عماد الدين ثم مات وخلفه ولده نور الدين محمود . . ثم اتصل بخدمة القائد صلاح الدين الأيوبي فكان مثالاً للأمانة . . والقدرة على مواصلة العمل فما لبث أن أصبح أميرًا من أمراء الجيش وهو الجيش الذي دخل مصر .

وكان بارعًا في جميع الأعمال التي أسندت إليه فمنها :

١ ـ حراسة القصر الفاطمي .

٢ ـ إنشاؤه الأعمال الحربية .

٣ ـ حصاره عكا .

٤ ـ حماية عرش الملك العزيز .

٥ ـ قيامه بالوصاية على عرش المنصور الذي كان صبيًا .

٦ ـ بنى سور القاهرة .

٧ ـ لما وقع الخلاف بين ورثة صلاح الدين، وكادت تقع بينهم الحروب ما كفهم ولا أصلح بينهم إلا قراقوش .

هذا هو قراقوش ، فمن أين جاءت تلك الوصمة التي وصم بها؟ ومن الذي شوّه هذه الصورة السوية ؟ .

إنها جريمة الأدب والحقد وسموم الحسد .

لقد أساء أحد معاصريه وهو الكاتب البارع ابن مّماتي (واسمه أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن قدامة ابن أبي مليح) إلى قراقوش . . والسبب أن ابن مّماتي كان موظفًا في ديوان صلاح الدين وكان الرؤساء يخشونه ويتحاملونه ويجاملونه ويتملقونه بالود حينًا وبالعطاء حينًا آخر .

ولكن قراقوش وهو الرجل العسكري الذي لا يعرف الملق، ولا المداراة لم يعبأ به ، ولم يخش شره ، ولم يدر أن سن القلم أقوى من سنان الرمح وأن طعنة الرمح تجرح الجرح فيشفى ، أو تقتل المجروح فيموت ، أما طعنة القلم فتجرح جرحًا لا يشفى ، ولا يريح من ألمه الموت .

فألف ابن مماتي رسالة صغيرة سماها : «الفافوش في أحكام قراقوش» ووضع حكايات ونسبها إليه وصدقها الناس (١) . . ونسوا التأريخ وإليكم أيها السادة نص الكتاب :

---

(١) انظر رجال من التاريخ لعلي الطنطاوي ، ص: (٣٠٩ـ٣١١) .

« إنني لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش [١] ، قد أتلف الأمة ، والله يكشف عنهم كل غمَّه ، ولا يعرف المظلوم من الظالم . الشكية عنده لمن سبق ، ولا يهتدي لمن صدق . ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته ، ويشتط [٢] اشتياط الشيطان ، ويحكم حكما ما أنزل الله به من سلطان ؛ صنّفت هذا الكتاب لصلاح الدين ، عسى أن يريح منه المسلمين .

وكان قراقوش رجلاً صقلبيا يميل إلى البيض ويكره السود . . . الخ .

ثم ساق الكاتب ما أراد سوقه من الحكايات الدالة على ذلك ومنها :

فأول حكومة أن امرأة حجازية لها جارية تركية، قالت لقراقوش :

إن هذه جاريتي قد أساءت الأدب عليَّ . فنظر قراقوش إلى بياض الجارية التركية وسواد الحجازية فقال للحجازية : ويلك ! خلق الله جارية تركية لجارية سوداء حجازية ؟ ما أنا مطغوم [٣] ولا مدوَّخ ياغلمان ودوا [٤] هذه الحجازية الحجرة !

فمكثت الحجازية شهرا وما لبثت أن عادت إليه تقول :

إنني قد أعتقتها لوجه الله تعالى . فقال :

---

(١) في القاموس : الفشوش الأحمق ، وفشي الرجل افتخر بالباطل وفشفش ضعف رأيه وأفرط في الكذب، ومحزمة على وزن مكنسة مايحزم به: والمعنى أن عقل قراقوش لاينطوي إلا على الغباء والحمق .

(٢) هكذا وردت بالأصل . والصحيح أنها اشتاط ليكون مصدرها اشتياطاً . غير أننا لانملك هنا تصحيح النص على هذا النحو حتى لا نضربه .

(٣) الطغامة كسحابة الأحمق ، والطغومة الحماقة، وتطغم تجاهل .

(٤) يريد أن يقول (خذوا) وهي لهجة مصرية لم تزل مستعملة بمصر إلى اليوم .

هذا الحال متى تعتقك ، فإنك جاريتها ، وإن أرادت بيعك فتبيعك ، وإن أرادت عتقك فتعتقك . فقالت الحجازية للتركية : اعملي معي مثل ماعملت معك . فقالت للتركية : وما تريدين مني ؟ فقالت الحجازية : أن تعتقيني فقالت التركية : إنني قد أعتقت سيدتي الحجازية فقال قراقوش : جزاك الله خيراً ! !

وأتاه ثلاثة أنفس : أحدهم أجرود سناط (١) والاثنان كبيرا اللحيتين ، وقد نتف الأجرود ذقونهما . فقال الرجلان : يامولانا بهاء الدين ، خذلنا حقنا من هذا ، فقد نتف ذقوننا وخرّق ثيابنا .

فنظر قراقوش إلى الأجرود السناط وقال : ويلكم ! نتفتم ذقن هذا الصبي وجئتم تشكونه ! ودوهما إلى الحبس ، ولا تخرجوهما حتى يطلع ذقن هذا الصبي !

وقيل إن امرأة أتته بولدها ، فقالت : ياسيدي ، إن ولدي يشتمني ، فأمر بحبسه سنة ، فلم يأخذ أمة تلك الليلة نوم ، فلما أصبحت راحت إلى السجانين وقالت : ما الحيلة في خلاص ولدي من هذا الحبس؟ فقالوا لها : هاتي حلاوتنا ونعرفك إيش ، (أي شيء) تقولين للأمير بهاء الدين قراقوش ؛ فدفعت إليهم الفضة ، وقالوا لها : روحي الساعة إلى الأمير ، وقولي له : ياسيدي ، أنا امرأة حبست لي ولدي سنة ، وقد انقضت السنة ، فأخرج لي ولدي ، فأتت المرأة إلى الأمير قراقوش ، وقالت له ذلك . فقال لها : روحي بلا محال قد بقي له من السنة سبعة أيام ، من سوى أمس وغدا . فمضت المرأة وأعلمت السجانين ، فقالوا لها : هذه نعمة . فإذا كان

---

(١) السناط : الخفيف العارض الذي لا لحية له أصلا ، أو لحية بالذقن وما بالعارضين شيء .

غدا ، روحي إليه ، وقولي له : قد انقضت السبعة أيام .

فأصبحت المرأة وجاءته ، فلما نظر إليها قال : ياامرأة ، حتى تغرب الشمس ! ياغلام . فإذا غربت الشمس ، فأطلق لها ولدها من الحبس . ولا ترجعي تجيبيه [١] أو يحبسوه سنتين . . الخ !

وقيل : إنه سبق رجلاً بفرس له ، فسبقه الرجل بفرسه ، فحلف أنه لا يعلفه ثلاثة أيام . فقال له السابق : يامولاي يموت . فقال له قراقوش : احلف لي أنك إذا علفته ياهذا ، لا تعلمه أنني دريت بذلك (!) .

قيل : وأتوه بغلام له ركبدار [٢] ، وقد قتَل ، فقال : اشنقوه ! فقيل له : إنه حدّادُك ، وينعل لك الفرس فإن شنقته انقطعت منه . فنظر قراقوش قبالة بابه لرجل قفاص [٣] ، فقال : ليس لنا بهذا القفاص حاجة ! فلما أتوه به ، قال اشنقوا القفّاص ، وسيبوا الركبدار الحداد ، الذي ينعل لنا الفرس(!) .

وتوقف النيل بمصر أياماً ؛ فنظر إلى جمال السقايين عشرين وعشرين ، ففكر عند ذلك وقال : فإنا نقوَل الماء ما يوفى من هذا إلا فات[٤] . ياغلمان ، نادوا في المدينة : قد أمر بهاء الدين قراقوش لا يملي أحد من البحر إلا جملاً واحداً .

ففعلوا ذلك ، فأوفى النيل . فقال لهم : ياهؤلاء ، الويل لكم إن عدمتموني ، فكيف رأيتم رأيي عليكم ؟ فما هو إلا رأي مبارك(!) .

---

(١) سيجد القارئ في هذه الحكايات عدداً من الألفاظ العامية .

(٢) لعلها ركابدار أي صاحب الركاب .

(٣) القفاص هنا : صانع الأقفاص جمع قفص .

(٤) كذا بالأصل . وقد نقلت نص الكتاب من كتاب في النوادر للأستاذ محمد سعيد كمال والتعليقات له . . .

اتهام العلامة صديق خان بالسرقة وبراءته من ذلك

العلامة المحدث المفضال صديق خان البوهبالي الأثري الهندي صاحب المصنفات السائرة بين الناس بالخير وهو من كبار من لهم اليد الطولى في إحياء كثير من كتب الحديث وطباعتها في الهند . . وقد عد صاحب عون الودود على سنن أبي داود . . المترجم له أحد المجددين على رأس المائة الرابعة عشرة . .

اتهامه بالسرقة وبراءته من ذلك :

اتهمه (فانديك) أحد النصارى في كتاب : « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » من أن صديق خان كان عامياً وتزوج بملكة بوهبال فعندما اعتز بالمال جمع إليه العلماء وأرسل يبتاع الكتب بخط اليد وكلف العلماء بوضع المؤلفات ثم نسبها لنفسه ، بل كان يختار الكتب القديمة العديمة الوجود وينسبها لنفسه . . والجواب . . .

أن هذا الكلام هراء وسخف . . وهذا من كلام أعدائه وحساده فيه .

قال العلامة الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ١٠٥٧) (والتأليف تأليفه ونفسه فيها متحد نعم وقعت له فيها غلطات وتقدمات ألف في الرد عليه لأجلها عصريه أبو الحسنات اللكنوي كتابه : تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد .) وقال ابن صديق خان في الروض البسام : ومن سيرته المرضية أنه لا يناظر أحداً وإن ردّ عليه من الجهلة لا يجيبه أبداً لأنه لا يرى في علماء الوقت من يستحق المناظرة ، وأكثرهم حساد مغمورون في جهالاتهم . .

متغمصون في خزعبلاتهم . . لم يرزقوا الإنصاف . . وإنما رضعوا بلبن الاعتساف » انتهى . وهذه مبالغة فادحة .

والعلامة صديق خان من قرأ سيرته عَلم بأنه كان طالباً للعلم بحرص . . مع توقد وذكاء . . وصاحب قلم سيّال وعندما رأت ملكة بهوبال ذلك أحبته وتزوجته . . فأين ذلك من كلام ذلك المستشرق النصراني فانديك . . الذي تلقف ذلك الكلام [1] من أقران وأضداد صديق خان رحمه الله .

(١)انظر : فهرس الفهارس للكتاني (٢/ ١٠٥٥ ـ ١٠٥٨) وقرة الأعيان ومسرة الأذهان في مآثر الملك الجليل نواب صديق حسن خان » وقطر الطيب في ترجمة الإمام أبي الطيب .
وانظر كتاب : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » للألوسي حيث ترجم لصديق خان ترجمة موسعة . . وانظر : الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .
وكتاب أبجد العلوم لصديق خان .

وقفات مهمة
تتعلق بموضوع السرقات العلمية

في الوقت الحاضر ، ومع التقدم العلمي الهائل في المجال الإعلامي . . أصبح العالم كله قرية واحدة . . متصلة ببعضها . . وأصبحت المكتبات تدار بأجهزة الكمبيوتر المطورة . . والعلم أمانة . . وبركة العلم عزوه لأهله . . والترحم عليهم . .

وموضوع « السرقات العلمية » يحتاج إلى تأصيل وتفصيل . . لأننا في زمن كثر فيه دعاة التعصب والحزبية . . وتعددت الأهواء والرغبات . . ولذلك تجدهم يطلقون شائعة . . حتى يتأذى ذلك الخصم اجتماعياً . . فحسبنا الله ونعم الوكيل . .

وقد نويت أن أكتب كتاباً أبين فيه هذا الأمر بوضوح . .

فأقول وبالله التوفيق : كان عند المتقدمين عدم عزو القول إلى قائله لايعتبر عيباً ولا نقصاً بل هو أمر سار عليه جماهير الناس قديماً . . وكتبهم شاهدة على ذلك [١] .

فهذا الإمام مسلم رحمه الله ألف كتابه . . الكنى » وفيه نوع تشابه بينه

---

(١) انظر موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، (والكوكب الدري المتلالي) .

وبين كتاب البخاري فنسبه بعض المعاصرين إلى السرقة والعياذ بالله . . ومثله إتهام العلامة ابن القيم الجوزية . . في كتابه : (مفتاح دار السعادة) . . الذي أكثر النقل فيه عن كتاب الجاحظ « الحيوان» .

ونقل رحمه الله في كتابه « بدائع الفوائد» (٣ / ٢٢١ ـ ٢٢٣) فصولاً من المدهش لابن الجوزي ص : (٤٧ ، ٥٣ ، ٥٥) ولم يعزوه . . فاستغل ذلك بعض أهل الأهواء فرموه رحمه الله بما هو منه براء . . ولو علم أن عدم العزو القول رلى صاحبه معروف عند المتقدمين . .

لما شنّ تلك الغارة على ذلك العلم . .

بل وصل بهؤلاء المساكين الحال إلى إتهام البيهقي بالسرقة (١) .

لقد كان ينقل اللاحق من السابق دون عزو ذلك تراه جلياً وواضحاً في كتب التفسير وشروح الحديث . . وكتب التاريخ . . وغيرها . .

وينبغي ألا يتخذ ذلك ذريعة للتوسع في النقولات من غير عزو . .

ولكن لو سقط سهواً . . لايشنع عليه خاصة إذا كان من العلماء أو الصالحين . .

أيها المسلم أن إتهام الناس بالسرقة والسطو على كتب التراث دون بينة ويقين . . وإنما بسبب الحقد والحسد . . ومايكون بين الأضداد والأنداد . . وقد قيل « المعاصرة أصل المنافرة» .

---

(١) انظر مقدمة محقق « المنهاج في شعب الإيمان » .

فينبغي عدم التسرع في الحكم على الآخرين ومن عرف حال النفس الإنسانية إذا خلت من الإيمان والخوف من الله . . لا يتعجب من هؤلاء . . وخاصة إذا غرر بهم . . أو كانوا تحت لواء الحزبية المقيتة . .

وموضوع السرقات العلمية موضوع قديم ـ تطرق إليه الباحثون . .

فمن ذلك سرقات الشعراء . . وفي الغالب عندما يكون الشاعر له جاه ومنزلة عند الناس يرمي بالسرقة . .

يقول الجرجاني : (داء قديم وعيب عتيق) .

ويقول الآمدي : (ما تعرى منه متقدم أو متأخر) .

فـانظر على سـبـيل المثـال : . . سـرقـات أبي نواس لابن عـمـار ، وسرقات الشعراء لابن المعتز « وبيان سرقات المتنبي » .

واتهم الفرزدق ت (٦١٠) بأنه ينتحل شعر الشعراء ، وكذلك جرير اتهمه الفرزدق بأنه يسطو على شعره يقول الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم

وأوابدي بتنحل الأشـــعار

إن سرقة الشعر سلوك عممه الأخطل على جميع الشعراء بما فيهم نفسه حين قال :

نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة . .

وقال الأصمعي : تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة ، وكان يكابر ، وأما جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت [١] !! .

قال الحازمي عفا الله عنه وهذا مبحث يحتاج إلى تفصيل . . وبيانه باختصار . . أن هؤلاء من فحول الشعراء . . والسرقة الشعرية تهمة لم يسلم منها شاعر والكلام إذا لم يصاحبه دليل عملي فإنما هو سخف وهراء . .

والدعاوي مالم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

ومن السرقات سرقة الحديث النبوي . . .

ومن ذلك كتاب العقل الذي وضعه ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود المجبر [٢] . .

ومن ذلك سرقات دور النشر في مصر وكثير من البلاد العربية وخاصة في بيروت . . حيث يطبع الكتاب بدون إذن من صاحبه . . ولا يعلم به ومثل ذلك كتابنا : الصب فيما ورد وقيل في الضبّ . حيث طبع وغيّر اسم المؤلف . . دون الإشارة إلى مؤلفه الحقيقي [٣] . . وكذلك كتاب : «الباحة في فضل السباحة» للسيوطي بتحقيقي . .

---

(١) انظر الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ص : (١٦٨) ، والعمدة لابن رشيق (٢/ ٢٨١١) ، والوساطة بين المتنبي وخصومه ص : (٢١٢) .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٠) .
(٣) للمزيد من البحث في هذا الموضوع انظر حق المؤلف للدكتور/ نواف كنعان .

وقفات مهمة :

١ ـ الوقفة الأولى : المقصود بالتأليف وأنواعه :

التأليف ثمانية وهي :

١ ـ شيء لم يُسبق إليه فيؤلف .

٢ ـ شيء ألف ناقصاً فيُكمل .

٣ ـ أو خطأ فيُصحح .

٤ ـ أو مُشكل فيُشرح .

٥ ـ أو مطوّل فيختصر .

٦ ـ أو مفترق فيجمع .

٧ ـ أو منثور فيرتب .

٨ ـ أو مبهم فيعين [١] .

فمن عمل واحدة منهن فلا يلام ، ولا يقال له أنه يجمع فقط . . فإنما التأليف في قواميس اللغة هو : جمع المادة العلمية والتأليف بينها وضم بعضها إلى بعض . .

---

(١) انظر : أزهار الرياض للمقري (٣/ ٣٤ـ٣٦) .
ومجموع رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦) .

الوقفة الثانية : أنه يجب الورع والخوف من الله والإنصاف فليس كل من لم يعزو يتهم بالسرقة . .

فإنه لو فتح هذا الباب لم يسلم منه أحد من السابقين . . بل يجب إحسان الظن بالعلماء والصالحين . . فقد اتهم علماء فضلاء ترى البعض منهم في كتابنا هذا . . والبعض الآخر في الجزء الثاني منه بسرقة المصنفات والمؤلفات زوراً وبهتاناً وحقداً وحسداً وهذا يكون كثيراً بين الأقران إذا كانوا في عصر واحد وكلام الأقران لايسمع بعضهم في بعض . . والتأريخ مليء بذلك . .

ومثال ذلك ماحصل بين السخاوي والسيوطي ، فقد اتهم السخاوي معاصره السيوطي بالإغارة على كتبه حسداً فأجاب السيوطي في (مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي) قائلاً : ثُمّ ادّعى أنّي أغرتُ على كتابه وأخذتُ مافيه من المتشابه ، والله يعلم ويشهد أنّه مبطل فيما ادّعاه عليّ ، وكاذب فيما نسبه من الإغارة إليّ . . وإني لم أقف على كتابه هذا إلى الآن ، ولانظرته عيني في سر ولا في إعلان » .

الوقفة الثالثة : إن المتأخر يأخذ من المتقدم وهذا أمر متعارف عليه فقد يجمع الشتات ويبين المهمل ويفصل المجمل . . ويخرج الفوائد والشوارد . . ويضبط الرواة وإما أن يخترع معنى . . وإما أن يبتدع وضعًا ومبنى . .

وقد عقد المؤرخ السخاوي المصري فصلاً في كتابه : (الجواهر والدرر) نقله من خطّ شيخه العلامة ابن حجر العسقلاني . . فيمن أخذ تصنيف غيره

فادّعاه لنفسه وزاد فيه قليلاً ونقص منه . .

ولكن أكثره مذكور بلفظ الأصل فقال تحته : «البحر» للروياني أخذه من «الحاوي» للماوردي ، «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى أخذها من كتاب الماوردي «شرح البخاري» لإسماعيل التيمي أخذه من شرح أبي الحسن بن بطال . .

«شرح السنة» للبغوي مستمد من شرحي الخطابي على البخاري وأبي داود .

«الكلام على تراجم البخاري» للبدر بن جماعة ، أخذه من «تراجم البخاري» لابن المنير .

(اختصار علوم الحديث) لابن أبي الدّم أخذه من «علوم الحديث» لابن الصلاح بحروفه وزاد فيه كثيراً .

(محاسن الأصلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح) لشيخنا البلقيني ، كل ما زاده على ابن الصلاح مستمد من (إصلاح ابن الصلاح) لمغلطاي .

(شرح البخاري) . . وغير ذلك كثير . . ولا نريد الاستطراد.

قال الحازمي ـ عفا الله عنه وسدد خطاه ـ :

هناك أشياء أصاب فيها الحافظ ابن حجر في هؤلاء الذين أخذ بعضهم عن بعض . .

والبعض لم يصب فيها . . . وبالمطابقة يظهر ذلك جليًا . . والحافظ

ابن حجر رحمه الله هو أيضًا عمل كما عمل هؤلاء فكتابه : «فتح الباري» أخذ مسماه من «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي وأيضًا استفاد من شرح ابن رجب .

وكتابه (تهذيب التهذيب) أخذه من كتاب (تهذيب الكمال) للمزي .

وأقولها بصراحة لايسلم أحد من العلماء والكتاب من ذلك إلا ما شاء الله وقليل ما هم .

ولذلك ينبغي عدم همز ولمز المؤلفين والعلماء إلا بعد التأني . . ومراعاة حال المؤلف والنظر في كتبه الأخرى فلعله أبان عما أبهم في موضوع آخر . .

ولعل له أسباب كالنسيان أو ذهول أو أعياء منعه من العزو في مواضع كان ينبغي العزو فيه . . وإلتماس العذر للآخرين من صفات الأحرار . .

الوقفة الرابعة: وجوب النصيحة . . فقد قال صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) رواه مسلم .

وليس بالشبه يحكم على الناس . . فقد يتشابه اسم الكتاب مع اسم كتاب آخر . . وهذا كثير وكثير جدًا (وسوف أفرد له رسالة خاصة إن شاء الله) .

ولكن مضمون كل كتاب يختلف عن الآخر وهناك فرق بين ما هو مصنف وما هو مختصر وفرق بين التأليف والجمع . . فتهمة السرقة عظيمة

وكبيرة . . ولا سيما في حق العلماء والفضلاء والصلحاء . .

فاحذر أن ترمي الناس بما هم منه براء . . ولا يحملك الحسد والغيرة على ذلك .

فقد وصل بهؤلاء الإجحاف والتعسف والهوى . . اتهام أئمة كبار بالسرقة كالإمام مسلم رحمه الله والبيهقي والسيوطي والسخاوي والزبيدي وابن حجر الهيتمي وابن الملقن والعيني والأنباري والمقريزي وغيرهم كثير . . ويعلم الله أن هؤلاء براء من ذلك . . والله المستعان . .

الوقفة الخامسة: بركة العلم عزوه لقائله والترحم عليه وذلك لأن الله سبحانه يقول : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ .

وقال أبو عبيد : من شكر العلم أن تستفيد الشيء فإذا ذكر لك قلت : خفي عليّ كذا وكذا . . . ولم يكن لي به علمٌ ، حتى أفادني فلانٌ فيه كذا وكذا . . فهذا شكر العلم . .

قال الحازمي ـ عفا الله عنه وسدد خطاه ـ ولذلك تجد في كتبنا قاطبة سواء ما حققناه أو جمعناه نسبنا إلى كل شيء إلى أصحابه . . إلا ما سقط سهوًا أو نسيانًا . . فعند ذلك أقول ما قاله العلامة الخطابي في كتابه غريب الحديث (١/ ٤٨) :

(وكل من عثر فيه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله إصلاحه وأداء حق النصيحة منه . . فإن الإنسان ضعيف لايسلم من الخطأ

إلا أن يعصمه الله بتوفيقه . .

ونحن نسأل الله ذلك) انتهى .

أيها القارئ الكريم : لا يخفى عليك أن المؤلف والكاتب بشر تنازعه أمور ومشاغل . . وهموم . . وتنتابه خروق تشغل قلبه ، وتفرق فكره، من كلام يُنسقه وتأليف يُنظمه .

ومعنى يتعلق به يشرحه .

فلا تكن أيها المسلم ـ وفقك الله ـ ممن إذا رأى حسنًا ستره ، وعيبًا أظهره . . ! فالكمال محال لغير ذي الجلال . . والإنسان غير معصوم .

اتهام العلامة الآمدي
بتركه الصلاة وبراءته من ذلك

نحن الآن مع شخصية علمية فاضلة . . .

إنه الإمام العلامة الأصولي أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم الآمدي .

قال عنه الحافظ الذهبي في السير : كان السيف (الآمدي) غاية في الكتاب والسنة . . وبالمعقول نهاية .

وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته .

وقال عنه الحافظ ابن كثير كان حنبلي المذهب كثير البكاء ، رقيق القلب .

وقال عنه الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي : كان قوي العارضة كثير الجدل . . واسع الخيال .

الإتهام والإجابة عنه :

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه سير أعلام النبلاء ، وكان القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة يحكي عن شيخه ابن أبي عمر قال :

كنا نتردد إلى السيف ، فشككنا هل يصلي أم لا؟ فنام ، فعلّمنا على

رجله بالحبر فبقيت العلامة يومين مكانها ، فعلمنا أنه ما توضأ .

قال الحازمي ـ عفا الله عنه وسدد خطاه ـ .

هذه الحكاية باطلة . . باطلة وإليك أيها المسلم بيان ذلك .

١ ـ أنها رويت بصيغة التمريض . . يحكي عن . . وهذا يدل على ضعفها .

٢ ـ إن كل من ترجم للإمام الآمدي وصفه بخصائل الخير جميعها ومنها الصلاة التي هي عماد الدين قال الحافظ ابن كثير عنه : كثير البكاء . . رقيق القلب .

ومن كان هذا حاله . . فمن المحال أنه لا يصلي .

٣ ـ إن هذا من كلام الحساد والأقران فالرجل انتشر فضله وعلمه ولذلك كثر حساده .

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

٤ ـ قال الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله في الكلام على هذه الحكاية المكذوبة .

أقول قد يبقى الحبر أيامًا على العضو مع تتابع الوضوء والغسل وخاصة عضو من لا يرى التدليك فرضًا في الطهارة بل يكتفي بإسالة الماء في غسله ووضوئه . . وعلى كل حال فالأصل البراءة حتى يثبت الناقل .

٥ ـ ومما يدل على عدم صحتها قول الحافظ ابن كثير في البداية: وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم بصحتها . . والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة» أ. هـ .

وهكذا برأه ابن كثير مما رمي به .

٦ ـ يجب على المسلم إحسان الظن بالعلماء والدعاة وحملهم على المحامل الحسان.

لأن العلماء لهم منازع شتى ومشارب متابينة . . ولذلك من رأى الآمدي وما وصل إليه من التبحر في العلوم، وقوة عارضته وحضور بديهته في الجدل والمناظرة وحسن أسلوبه. . في التدريس وصناعة التأليف حسده. . حيث لم يؤت مثل ما أوتى غيره.

ولذلك تجد هناك من العلماء من رفع شأن الآمدي وعنى بالذب عنه وانهال بالملامة على من حط من قدره أو اتهمه في دينه ، أو طعن في تأليفه كابن السبكي حيث عاب الذهبي في انتقاصه للآمدي [١].

وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وما الآمدي إلا عالم من علماء المسلمين العظماء الأذكياء . .

---

(١) انظر مقدمة الشيخ عبد الرزاق عفيفي لكتاب الأحكام في أصول الأحكام للآمدي.
للمزيد من ترجمة الآمدي انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٦) ولسان الميزان (٣/ ١٣٤) وطبقات السبكي (٥/ ١٢٩) ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والعبر للذهبي (٥/ ١٢٤)، والشذرات (٥/ ١٤٤).

وليكن شأننا معه كشأننا مع غيره من علماء المسلمين . . وليكن شعارنا مع الجميع .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

اتهام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بادعاء النبوة وبراءته من ذلك

نحن الآن مع شخصية عالمية . . آية في الذكاء . . والعلم وحب الإصلاح . . ونشر الدعوة الإسلامية .

إنه الشيخ العلامة مجدد القرن الثالث عشر محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ولد رحمه الله سنة ١١١٥هـ ـ ١٧٠٣م ودرس على والده الذي كان قاضياً في العينية . . ورأى والده عليه علامات النجابة والذكاء . . فقد حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة من عمره . . وكان وقاد الذهن ، سريع الحفظ . .

ثم رحل إلى المدينة المنورة ، وأخذ عن عالمها الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي . .

وكذلك عن الشيخ محمد حياة السندي المحدث المشهور . . ودرس على غيرهم من العلماء . .

ثم عاد إلى نجد وبدأ في نشر دعوته الإصلاحية المباركة التي تعتمد على الكتاب والسنة . . وترك البدع والخرافات والشعوذة . . وهدم معالم الشرك والوثنية . . وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ .

* اعلم أيها المسلم ـ بارك الله فيك ـ أنه لا يسلم أحد من ألسنة الناس بحق أو بباطل . .

الناس ما سلم منهم الله . . ولا الرسول فكيف أنا .

وقال ابن حزم :

(من ظن أنه يسلم من الناس فهو مجنون) والأنبياء الذين هم صفوة الخلق لم يسلموا من التقول عليهم فيوسف عليه السلام يتهم بأبشع التهم ويلقى به في السجن ، وعيسى قالوا عليه وعلى أمه الإفك والبهتان وموسى اتهموه بالسحر والشعوذة . . والنبي ﷺ قالوا عنه مجنون ، حتى الله سبحانه وتعالى قالوا بأنه اثنان مرة وثلاثة أخرى . . واتهموه بالصاحبة والولد تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وما أجمل ما قاله أحد الشعراء . .

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً

ولو كـــان بين خافيتي نســـــر

وإذا رأيت الناس يختلفون في شخصية عالم فاعلم أنه عظيم . .

وقل أن تجد عالماً كان ذا مكانه في عصره اتفق الناس على رأي واحد فيه . .

ولا شك أن الخـــلاف بين الفـــرق في الرأي . . وبين الطوائف في السياسة . . وبين أصحاب المذاهب الفقهية . . كاف له اثار بعيدة المدى في

الحكم على المخالف والموافق . . ولذلك أثار الأعداء الحاقدون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعض الشبه .

اتهام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بادعاء النبوة :

كتب الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه . . خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام »[١] ص : (٢٣٩) .

(كان ـ يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ في أول أمره مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النوبة كاذباً ، كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي و أضرابهم ، فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة . . ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها وتبعه على هذه المقالة الزهاوي العراقي[٢] . . .

وقال أحمد زيني دحلان : والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك » .

ويقول علوي بن أحمد الحداد في كتابه (مصباح الأنام وجلاء الظلام) « من ذلك أنه يدعي باطنا أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله

---

(١) في كتابه : الدرر السنية في الرد على الوهابية ص : (٤٦) ، وله ترجمة في كتاب فهرس الفهارس (١/ ٥٥) .

وانظر : صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان لمحمد بشير السهسواني .

(٢) انظر : الضياء الشارق ص : (٢٥) .

لا أدري أيهما الأول السابق في نقل هذا الكلام ولعل ابن دحلان كما فعلت ـ هو السابق ـ والزهاوي هو اللاحق .

وأقواله ، ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ إلا القرآن ، فإنه قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره ، فينكشفوا عنه بدليل أنه هو وأتباعه إنما يؤولون بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فإنه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ . . . الخ »[١] .

والمتفحص لهذه الادعاءات والمفتريات يرى اتفاقها جميعاً ، على أن ادعاء النبوة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان إضماراً في داخله ، ولم يصرح به لأحد مطلقاً .

هذا هو المفهوم من كلامهم ، ولا يمكن أن يفهم غير ذلك .

ونقول : إذا كان ذلك كذلك وأن الشيخ أضمر النبوة في نفسه ، ولم يتمكن ـ كما يقول الأدعياء ـ من إظهارها . فمن اطلعهم على هذا الشيء المضمر . . ؟ هل أوحى الله إليهم بما في سرائر العباد . . ؟ فإن قالوا نعم ، فهم الأدعياء حقاً . وتكون قولتهم هذه امتداداً لما قاله مسيلمة وسجاح وكل المردة أتباع الشياطين .

وإذا لم تكن هذه . أتراهم اطلعوا على الغيب وقرأوا مافي اللوح المحفوظ كما كان يدعي بعضهم . فإن كان هذا هو حالهم . خرجوا عن ملة الإسلام وألحقوا بإخوانهم في الجاهلية من الكهان وأدعياء البهتان لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

---

(١) الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد ص ٢٠ .

قال تعالى :

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (١) .

فلم يبق إلا الاحتمال الثالث . وهو أن هؤلاء الأدعياء من أصحاب الهوى والغرض ، ومن أتباع الضلال والمنكر . يعشقون الظلام الذي يستر سوآتهم ـ ظلام الكفر والفسوق والعصيان ، وينفرون من النور ـ نور الإيمان والإحسان ـ الذي يكشف مباذلهم ، ويظهر إسفافهم وصدق ربي في قوله :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢) .

والقاريء لرسائل الشيخ ومصنفاته وما عرف واشتهر من أمر دعوته يعلم أنه كان على ماكان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ، وتعرف جلاله ، والإلزام بكل ماجاء به الرسول ﷺ .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته إلى السويدي ، عالم من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه :

« أخبرك أني ولله الحمد ـ متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة ، لكني بينت للناس إخلاص الدين

---

(١) سورة الجن ـ آية رقم : (٢٦) .

(٢) سورة الصف ـ آية رقم (٨) .

لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذروالتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة »

ويقول في رسالته إلى ابن صباح : وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء وكذلك يقول في أحد رسائله :

فما ذكره المشركون أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، أو أني أقول لو أن لي أمراً هدمت قبة النبي ﷺ ، أو أني أتكلم في الصالحين ، أو أنهى عن محبتهم ، فكل هذا كذب وبهتان افتراه عليّ الشياطين » .

وكتب في رسالة أخرى :

الذي ندين به عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بعبادة غيره ، ومتابعة الرسول النبي الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه محمد ﷺ [١] .

وإذا كان ذلك كذلك . فلماذا هذه الادعاءات . . ؟

ونقول : إنه الحسد ، نعم الحسد الذي يملأ قلوب هؤلاء الادعياء ، فهو كامن في نفوسهم ، ومستقر بين أفئدتهم وإذا تمكن من إنسان أعماه ،

---

(١) الرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب ـ القسم الخامس ص : (١٠٦ و ١٠٤).

وأصم أذنيه عن سماع الحق .

وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا داء الحسد . . . ؟! وهو أيضاً الداء الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى عليه السلام . ومنع أبا جهل من الاستجابة لنداء الإسلام . . . . [١] .

اتهام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه يكفر الناس :

ومن الاتهامات التي يتهم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة ، ويستبيحون قتل المسلمين، وقد ردد هذا الاتهام في أوقات مختلفة .

قال الشيخ ابن عابدين الشامي في حاشيته (رد المختار) .

« كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم . . . الخ [٢] .

ويقول ابن دحلان : « وسعى بالتفكير لأمة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله » .

---

(١) انظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الجزء الثاني . . من ص : (٥٥ـ٥٧) .

(٢) رد المختار جـ٣ ص : (٣٠٩).

ويقول : وكانت شوكتهم وقوتهم في بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق مالا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم » (١) .

ويقول الشيخ محمد بن علي الشوكاني : « ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام . وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها » (٢) .

إن هذا الادعاء باطل . . وهراء وسخف . . فهل يتصور أن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب التوحيد يكفر من يؤمن بتوحيد الألوهية والربوبية . . ؟ ويكفر من يخلص العبادة لله . . ؟ .

محال أن يكون ذلك كذلك . . وهو نفسه يعلن ذلك وينفي هذه التهمة الباطلة التي يروجها عنه الأعداء بغية تنفير الناس عنه . حتى تبقى لهم مكانتهم وقوتهم باعتبارهم سدنة للقبور ، وحجاب الأقطاب الذين يتصرفون في الكون من دون الله ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

يقول الشيخ : « وإذا كنا لا نكفر من عبدالصنم على قبة عبد القادر والصنم على قبر أحمد البدوي وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر . . ؟

---

(١) فتنة الوهابية ص : ٦٦ .
(٢) البدر الطالع (ج٢ / ٥) . قال ذلك الشوكاني قبل أن يتضح له حقيقة الدعوة ولكن بعد ذلك صار من أنصارها والمدافعين عنها .

سبحانك هذا بهتان عظيم . . »[١] .

إن الشيخ كان يكفر من أهل اليمامة هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في النخلة القائمة عندهم أن لها قدرة عجيبة من قصدها من العرائس تزوجت لعامها .

(وكانت المرأة تأتي وتقول : يافحل الفحول عطني زوج قبل مايحول الحول . . !!) .

ويكفر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في الغار القائم في الدرعية ، ويحجون إليه للتبرك كما يحج المسلمون للكعبة المكرمة .

ويكفر كل من اعتقد في شجر أو حجر ، وتوجه إليه بنوع من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله سبحانه قال اله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ وقال : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، قال الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ .

وقال تعالى :

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

---

(١) روضة الأفكار للشيخ حسين بن غنام .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب كان لا يكفر بالعموم . .

يقول رحمه الله في أحد رسائله ص : (١٠١) أما القول أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم . .

يقول صاحب كتاب (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم) ومن جملة هذه الأكاذيب ما ذكره . . أن الشيخ يسفك الدماء وينهب الأموال ويتجرأ على قتل النفوس ، وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار وهذا كله كذب ، انتهى .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، وبعد أن بدأوه بالقتال . . فحينئذ قاتلهم . . والكتاب والسنة معه . . قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] .

شبهات وإجابات

وهناك مفتريات وأباطيل أخَر أثيرت حول دعوة الشيخ . . .

ويقال إن أول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حياته هو سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع أهل الرياض .

وقد جمعت هذه الاتهامات في رسالة وقام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بالرد عليها وأبطل ما فيها من كذب وبهتان .

هذه الرسالة كتبها سليمان بن محمد بن سحيم (١) ، مطوع أهل الرياض، وأرسلها إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ ويفتري عليه أشياء لم تحدث .

وهذا نص الرسالة:

من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين ، وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . أما بعد :

---

(١) وهو من أشد أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ولوالده وجده ، ترجمة في السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد المكي (٢/ ٤٠٥).

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل، مضل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة منها: شيء شاع وذاع، وملأ الأسماع، وشيء لم يتعد أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته.

والقصد من ذلك القيام لله ورسوله، ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة: زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد، وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها: أنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا، وحرق أيضا «روض الرياحين» وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صح عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه، وجعلت بدله ميزاب خشب.

أما سمع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج : ٣٢] .

ومنها : أنه ثبت أنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتابا يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال .

ومن أعظمها : أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال : أنت موحد ، ولو كان فاسقًا محضًا ، أو مكاسًا ، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

ومنها : أنه بعث إلى بلداننا كتابا مع بعض دعاته بخط يده ، وحلف فيه بالله : أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم ـ في زعمه ، وإلا فليس له مشايخ ـ ولا عرفه أبوه ، ولا أهل «العارض» .

فيا عجبا إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا أهل قطره ، فمن أين علمه . . ؟ وعن من أخذه؟ .

هل أوحي إليه . . ؟ .

أو رآه مناما . . ؟ أو أعلمه به الشيطان . . ؟ .

وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض .

ومنها : أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي .

ومنها : أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم

يأخذون النذور، ومن لم يشهد بكفرهم أنهم وقفوا فهو كافر .

ومنها : أنه ثبت عنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمه ، قال : اختلافهم نقمة .

ومنها : أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا .

ومنها : إبطال الحج .

ومنها : أنه ترك تمجيد السلطان في الخطابة، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده .

ومنها : أنه قال : الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها هي بدعة وضلالة ، تهوى بصاحبها إلى النار .

ومنها : أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديمًا وحديثًا ـ إذا قضوا بالحق بين الخصمين ، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ـ إن ذلك رشوة ـ هذا القول بخلاف النصوص عن جميع الأمة : أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين : لا أقضي بينكما إلا بجعل ،ومنها : أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ، ويدخل مع ذلك دفن شر الجن، ويقول : ذلك كفر واللحم حرام ، فالذي ذكره العلماء بذلك أنه منهي عنه فقط وذكره في حاشية (المنتهى)[1] .

(١) انظر روضة الأفكار لابن غنام الاحسائي ، الرسالة السابعة، ص (٢/ ٩٣ ـ ١٠٨) .

وهذا جواب الشيخ:

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم.

وبعد:

ألفينا مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك، ولا يخفاك أن المسائل التي ذكرت أنها بلغتكم في كتاب من العارض جملتها أربع وعشرون مسألة بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب.

وقبل الكلام فيها لابد من تقديم أصل، وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا والجهال إذا تنازعوا، ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة - هي الواجب اتباع أمر الله ورسوله، وأهل العلم أوالواجب اتباع عادة الزمان التي أدركنا الناس عليها، ولو خالفت ما ذكره العلماء في جميع كتبهم.

وإنما ذكرت هذا - ولو كان واضحًا - لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم: الحنابلة وغيرهم.

ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرها علي من أنكرها لأجل مخالفة العادة، وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم عيانًا، وأقروا بها وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن

سحيم، وقد بينت ذلك له فأقر به ، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين ، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي :

﴿ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [البقرة: ٩٠].

وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هوالحق، فلأي شيء لم تنهونا عن عبادة «شمسان» وأمثاله فتعذروا : أنكم سألتمونا . . ؟ .

قالوا : وإن لم نسألكم، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا . . ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفًا لغيره .

وأيضا : لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان .

والله ناصر دينه ولو كره المشركون .

وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام ، وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثًا فصاعدا من غير عظم ولا روث وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة ، لا خلاف في ذلك ـ ومع هذا ـ لو يفعله أحد ـ لصار هذا عند الناس أمرًا عظيمًا ، ولنهوا عن الصلاة خلفه، وبدّعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة.

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها ـ منها ما هو من البهتان الظاهر وهي

قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .

وقوله : إني أدعي الاجتهاد .

وقوله : إني خارج عن التقليد .

وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة .

وقوله : إني أكفر من توسل بالصالحين .

وقوله : إني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق .

وقوله : إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب .

وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ .

وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم ، وإني أكفر من يحلف بغير الله .

فهذه اثنتا عشرة مسألة : جوابي فيها أقول :

﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ولكن قبله من بهت النبي محمدا ـ ﷺ ـ أنه يسب عيسى ابن مريم ، ويسب الصالحين .

﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨] .

وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله في ذلك :

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وأما المسائل الأخر وهي أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله» .

ومنها : أني أعرف من يأتيني بمعناها .

ومنها : أني أقول : الإله هو الذي فيه السر .

ومنها : تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك .

ومنها : أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمي الله عليها إذا ذبحها للجن .

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها .

ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل ، وقبل ذلك أذكر معنى « لا إله إلا الله » فنقول : التوحيد نوعان :

توحيه الربوبية : وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم . وهذا حق لابد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به .

قال الله تعالى :

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو : أن لايعبد إلا الله ، لا ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، وذلك أن النبي ﷺ بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله : فمنهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يُدّعى أحد من دونه ، لا الملائكة ، ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، وهذه جملة لها بسط طويل ، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء .

. . ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » (١) .

وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم :

---

(١) رواه البخاري ومسلم وانظر : كتابنا : الصبّ فيما ورد وقيل في الضب .

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣١] .

فصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء ، مثل : عبد القادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح ، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك ، وحذروهم غاية التحذير والإنذار- من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار ، فلم يحصل منهم انزجار .

بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك .

وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر ، وأنت ذكرت في كتابك تقول : ياأخي مالنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم .

وأنا أقول : كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك ، وأنبهك عليه ، فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك ، فإن عرفت أن الصواب معي وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء ـ أعني دين الإسلام الصرف الذي لا يمزج بالشرك والبدع .

وأما الإسلام الذي ضِدُّه الكُفْرُ فلا شكَّ أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم ، وعليها تقوم الساعة .

فإن فهمت أن كلامي هو الحق ، فاعملْ لنفسك ، واعلمْ أن الأمر عظيم والخطب جسيم . فإن أشكل عليك شيء فسَفرُكَ إلى المغرب في

طلبه غيرُ كثير . واعتبر لنفسك حيث كتبتَ لي فيما مضى : أنَّ هذا هو الحق الذي لاشكّ فيه ، لكن لانقدر على تغيير . وتكلمتَ بكلام حسن ؛ فلمّا غربلك [1] الله بولد المويس ، ولبّس عليك ، وكتب لأهل « الوَشْم » يستهزيء بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة ، وأنه خرج من خراسان ، ويسبُّ دين الله ورسوله ـ لم تفطن لجهله وعظَمِ ذنبه ، وظَنَنتَ أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس . وكلامي هذا لا يغيرك ، فإنّ مرادي أن تفهم أن الخطب جسيم ، وأن أكابر أهل العلم يتعلّمون هذا ويغلطون فيه ، فضلاً عنا وعن أمثالنا . فلعله إن أشكل عليك تواجهني . هذا إن عرفت أنه حق ، وإن كنتَ ـ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء ـ عرفتَ أني لم أفهم معناها ، وأن الدين نقلتُ لك كلامهم أخطأوا ، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم ـ فنبِّهني على الحق ، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى .

ثم نقول : قال الشيخ تقي الدين ، وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة ، حتى قلبوا حقيقته ، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات ، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية . ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع ، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية ، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد .

---

(١) غربله الله أصابه بعذاب أو مكروه . .

قال تعالى :

﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) ﴾ [المؤمنون : ٨٤] .

وهذا حق ، لكن لايخلص به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله ؛ بل لابد أن يخلص الدين لله فل يعبد إلا الله ، فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب وأطال رحمه الله الكلام .

وقال ـ أيضاً ـ في الرسالة « السنية » التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ، ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ثم قال : فإذا كان في زمن النبي ـ ﷺ ـ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ـ فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور .

منها : الغلو الذي ذمه الله تعالى مثل : الغلو في عدي بن مسافر أو غيره : بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الألوهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان أغثني أو أنا في حسبك ، ونحو هذا ـ فهذا كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعي معه إله آخر . والذين يدعون مع الله الهة أخرى ، مثل : الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم ـ لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يُدْعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، وأطال الكلام رحمه الله . فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدَّعون العلم ، ومن أهل العبادة الذين يدَّعون الصلاح .

وقال في « الإقناع » في باب « حكم المُرْتدّ » في أوَّله : فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته . . . إلى أن قال : أو استهزأ بالله أو رسله ـ قال الشيخ : أو كان مبغضاً لرسوله ، أو لما جاء به اتفاقاً ـ أو جعل بينه وبين اللّه وسائط : يدعوهم ويتوكَّل عليهم ، ويسألهم ـ كَفَر إجماعاً . . . . إلى أن قال : أو أنكر الشهادتين أو إحداهما .

وقال أيضاً في أثناء الباب : ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ـ ﷺ ـ ، أو لا يجب عليه اتباعه ، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه أو قال :

« أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، أو قال : إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ـ كفر في هذا كله .

وقال أيضاً ـ في الباب : ومن سب الصحابة ، واقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو نبي أو أن جبريل غلط ـ فلا شك في كفر من توقف في تكفيره . فتأمل هذا إذا كان كلامه هذا في علي . فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبدالقادر إله . . ؟

وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تألهه القلوب ، واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ـ ﷺ ـ بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة ، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات ، (والكفار في زمن النبي) مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم ؛ وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله ، فهم لايدعونهم إلا في الرخاء ، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

وقال ـ أيضاً ـ في « الإقناع » : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ، وهو : عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله ، ومنه ما يقتل ومنه ما يمرض ، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يبغض أحدهما للآخر ، ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ، فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك ، وتأمَّل هل قالوا هذا في أشياء وجدت في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها ، أو قالوها ولم تقع ؟ وتأمَّل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول .

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح (درر البحار) : النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً : ياسيدي فلان إن رد غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي ، فلك كذا وكذا ـ باطل

إجماعاً لوجوه منها :

أن النذر للمخلوق لا يجوز .

ومنها : ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر . إلى أن قال : إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها ، وينقل إلى ضرائح الأولياء - فحرام بإجماع المسلمين . وقد ابتلى الناس بهذه لاسيما في مولد أحمد البدوي .

فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء ، كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه ! فتأمل قوله (من أكثر العوام) أتظن أن الزمان صلح بعده . . ؟

وأما المالكية ، فقال الطرطوشي في كتاب « الحوادث والبدع » روى البخاري [١] عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول اله - ﷺ - إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون حولها . وينوطون بها أسلحتهم يقال لها « ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا : يارسول الله اجعل لنا « ذات أنواط» كما لهم « ذات أنواط» فقال : الله أكبر هذا لتركبن سنن من كان قبلكم» .

فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس ، وينوطون بها الخرق فهي ذات أنواط ، فأقطعوها .

---

(١) هذا الحديث لم يروه البخاري وإنما رواه الترمذي وغيره .

وقال ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس** » .

ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل . . . إذا أسلم في قبيلته غريبا مستخفياً بإسلامه ، قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف ، ثم يعود غريباً لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم .

وروى البخاري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً » .

وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره ، وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك وهو يبكي فقلت : مايبكيك؟ فقال : ما أعرف بينهم شيء مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت » انتهى كلام الطرطوشي .

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث ، وفي أي زمان قيلت ، وفي أي مكان ، وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة ، ولكن مرادى منها ماوقع من الصحابة ، وقول الصادق الصدوق ، إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم : اجعل لنا إلهاً : ياعجبا إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله : يا أكرم الخلق كيف تعجبون من كلامي فيه ، وتظنونه ، خيراً وأعلم منهم .

ولكن هذه الأمور لاعلم لكم بها ، وتظنون أن من وصف شِرْكاً أو كُفْراً أنه الكفر الأكبر المُخْرِج عن المِلَّة . ولكن أين كلامك هذا من كَتابك

الذي أرسلت إليَّ قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام ، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق ، وتعتذر أنك لاتقدر على الإنكار ؟

ومرادى أن أبيِّن لك كلام الطُّرْطُوشي ، وما وقع في زمانه من الشرك بالشَّجَر ، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى ، أتظن الزمان صلح بعده ؟

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ـ وهو في زمن الشارح وابن حمدان ـ: وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام ، المنتمين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان ، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالّين مُضلِّين ، فهم داخلون تحت قوله : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر : من عبادة الأصنام وغيرها . ومن هذا القسم ماقد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان ، والعمد ، وإسراجَ مواضعَ في كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهِرَ بالصلاح ؛ فيفعلون ذلك ، ويظنُّون أنهم يتقرَّبون إلى الله . ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ، ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر ، وحائط وحجر . وفي دمشق ـ صانها الله ـ من ذلك مواضع متعددة : كعوينة الحمى ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر ، سهَّل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط . ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : أسأل الله الكريم مُعَافاتَه من كل مايخالف رضاه ، ولا يجعلنا ممن

أضلَّه فاتخذ إلهه هواه .

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نَبْذٌ لشريعة الإسلام ، وأنه خروجٌ عن الإيمان ، ثم ذكر أنه عمَّ الابتلاء به في الشام .

فأنت قل لصاحبكم : هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشِّرْك عم الابتلاء به وغيره ، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، وذكروا أن الدين عاد غريباً . فهو بين اثنتين : إما أن يقول : كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مُضِلُّون خارجون ، وإما أن يدَّعى أن زمانه وزمان مشايخه صَلُحَ بعد ذلك .

ولايخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له من عند مشايخه ، وشيخُ مشايخه رجل يقال له : عبدالغني ، ويثنون عليه في أوراقهم ، ويسمُّونه " العارف باللّه . وهذا اشتُهرَ عنه أنه على دين ابن عَرَبيّ الذي ذكر العلماء أنه أكْفَرُ من فرعون ، حتى قال ابن المقري الشافعي : مَنْ شكَّ في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر . فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم ، ويثنون عليه أنه العارف بالله فكيف يكون الأمر؟ ولكن أعظم من هذا كله ماتقدم عن أبي الدرداء وأنَس وهما بالشام ذلك الكلام العظيم؛ واحتج به أهل العلم على أنْ زمانهم أعظم ، فكيف بزماننا؟ وقال ابن القيِّم رحمه الله في « الهدي النبوي » في الكلام على حديث وفد الطائف ـ لما أسلموا ، وسألوا النبي ﷺ أن يترك لهم اللات لايهدمها سنة ، ولمّا تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال : ومنها أنه لايجوز

إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرَات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتَّةَ . وهذا حُكْمُ المَشَاهد التي بُنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً تُعْبد من دون اللّه ، والأحجار التي تُقْصد للتبرُّك والنذر والتقبيل ـ لايجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعُزّى ومَناةَ الثالثة الآخرى ، بل أعظم شركاً عندهم وبها، والله المستعان . ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق ، وإنما كان يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتَّبع هؤلاء سَنَن من قبلهم ، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم ؛ وصار المعروف مُنْكراً ، والمنكر معروفاً ، والسُّنَّة بدْعَة ، والبدْعة سنَّة ؛ ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطُمسَتْ الأعلام ، واشتدَّت غُرْبة الإسلام، وقلَّ العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الأمر ، واشتدَّ البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر ، بما كسبت أيدي الناس .

انتهى كلامه .

وقال أيضاً في الكلام عى هذه القصة ـ لما ذكر أن النبي ﷺ أخذ مال اللات وصرفه في الصالح : ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين؛ فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها ، ويصرفها على الجند والمقاتلة

ومصالح الإسلام ، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات . وكذا الحكم في وقفها والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فيصرف في مصالح المسلمين ؛ فإن الوقف لا يصحُّ إلا في قُرْبة وطاعة للّه ولرسوله ، فلا يصحُّ على مشهد ، ولا قبر يُسْرَج عليه ويُعظَّم ويُنْذَر له ويُعْبَد من دون الله . وهذا مما لا يخالِف فيه أحد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم . انتهى كلامه .

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من أهل العلم ، وهو أيضاً من أهل الشام، كيف صرَّح أنه ظهر في زمانه ، فيمن يدَّعى الإسلام في الشام وغيره، عبادةُ القبور والمشاهد والأشجار والأحجار ـ التي هي أعظم من عبادة اللات والعُزَّى، أو مثله ـ وأن ذلك ظهر ظهوراً عظيماً حتى غلب الشركُ على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريباً ، بل اشتدت غربته . أين هذا من قول صاحبكم لأهل « الوَشْم » في كتابه ـ لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئاً من الشرك : ـ يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين . وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأطمُّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما . أفَتَرى هؤلاء العلماء أتوا فِرْية عظيمة ، ومقالة جسيمة ؟

فهذا ما يسَّر اللّه نقله من كلام أهل العلم على سبيل العَجَلة . فأنت تأمَّلْه تأملاً جيداً ، واجعلْ تأملك لله ، مستعيذاً بالله من اتِّباع الهوى، ولا تفعل فعْلك أولاً ، لمّا ذكرت لك أنك تتأمل كلامي وكلامه ، فإن كان كلامي صحيحاً لا مجازفة فيه ، وأن شاميَّكم لايعرف معنى «لاإله إلا الله»،

ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد ، وعقيدة الذين ضربوه ـ فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرفْ أن الأمر أمر جليل . فإن كان كلامي باطلاً ، ونسبتُ رجلاً من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان ، فالأمر أيضاً عظيم ـ فأعرضتَ عن ذلك كله ، وكتبتَ لي كتاباً في شيء آخر . فإن كان مرادك اتِّباعَ الهَوَى ـ أعاذنا الله منه ـ وأنك مع ولد المويس، كيف كان، فاترُك الجواب ، فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمَور الدنيا . وإن كنتَ مع الحق ، فلا أعـذرِك من تأمُّلِ كلامي هذا وكلامي الأول ، وتَعْرِضهما على كلام أهل العلم ، وتحرِّرهما تحريراً جيداً، ثم تتكلم بالحق .

إذا تقرر هذا فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، وأضيف إليها مسألة سادسة ، وهي : إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف ، وليس في كلامي مجازفة ، بل هو الحق ، لأن عُبّاد اللات والعُزّى يعبدونها في الرخاء ، ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر .

فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق، والانقياد له ، والكفر بالطاغوت ، والتبري ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك ـ فاكتب لي وبشرني ؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع ، بل ليس الجهل بهذا ـ فضلاً عن إنكاره ـ مثل الزنا والسرقة ، بل والله ثم والله ثم والله إن

الأمر أعظم ، وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه .

وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله ؛ وبيننا وبينكم فيها كلام أهل العلم، لكن العجب من قولك أنا هادم قبور الصحابة ، وعبارة «الإقناع» في الجنائز : يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسِّست على معصية الرسول ، والنبي ﷺ صح عنه أنه بعث عليًّا لهدم القبور ، ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم : إن ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه أنكر على رجل تزوج أخته*! فالعجب كيف راج عليكم كلامه! .

وأما قولي : إن الإله الذي فيه السر ، فمعلوم أن اللغات تختلف : فالمعبود عند العرب ، والإله الذي يسمّونه عوامنا «السيد» و «الشيخ» و «والذي فيه السر» ؛ والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا «السر» لأن «السر» عندهم هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح أن يدعي ويرجى ويخاف ويتوكل عليه ، فإذا قال رسول الله ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسأل بعض العامة : ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده ، فتارة تقول هي : فاتحة الكتاب ، وتارة تقول هي : أم القرآن ، وتاره تقول هي : الحمد ؛ وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد ، ولكن إن كان «السر» في لغة عوامنا ليس هذا ، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم ، فهذا وجه الإنكار ، فبينوا لنا .

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة : إنه عمد إلى شهداء أصحاب

رسول الله ﷺ ، الكائنين في الجبيلة : زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله ﷺ ، وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه . . . إلى آخره فهذا الكلام ذكر فيه ما هو حق وصدق ، وذكر فيه ما هو كذب وزور وبهتان .

فالذي جرى من الشيخ ـ رحمه الله ـ وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه؛ وذلك كذب ظاهر ، فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد . فافتتنوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجتمع عنده جمع كثير ، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره ، وذلك المسجد المبني على المقبرة، اتباعاً لما أمر الله به ورسوله : من تشويه القبور، والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها، كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم .

وقوله : «وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يحفروا

لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع، ليمنعوا الرائحة والسباع» ، فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكلامه هذا تكذبه المشاهدة ، فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر، وأهل العيينة والجبيلة، وغيرهما من بلدان العارض، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة لا حجارة فيها، والحجارة والوعر عن تلك المقبرة شمالاً وجنوبًا ، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة والأهوال الهائلة الشنيعة، لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله؛ وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه(١) .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

---

(١) نقلته من تاريخ نجد لابن غنام ، (٢/ ٩٢ـ١٠٨) .

الفهرس الموضوعي

الموضـــوع | الصفحـة

الموضــوع	الصفحة

ار.س

أخي المؤلف ...

دار الشريف للنشر والتوزيع هدفها الأول والأخير نشر الكتاب الإسلامي. وهي ترحب بمؤلفاتكم ومساهماتكم في مجال إحياء الكتاب الإسلامي.

دار الشريف للنشر والتوزيع

ص . ب : ٥٨٢٨٧ الرياض : ١١٥٩٤

ت ـ فاكس : ٤٧٣١٤٦١

ردمك: ×-٧٧-٧٤١-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٨١-٧٤١-٩٩٦٠ (ج ١)

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ – ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض